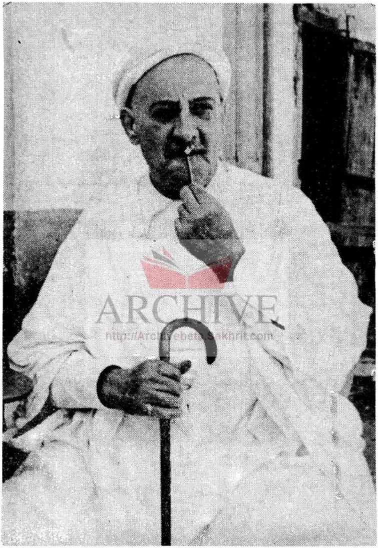
ذكـــــرى شهـــــداء

9 افـــريـــل 1938

بقلم : **احمد المختار الـوزير**

نـور يـرف ، على الصدور نجيعهم   هـل تبصرون • أولئكـم شهـداء
المؤمنون ، الصادقون ، المخلصون   الصامـدون ، وان قضوا ، أحيـاء
ثاروا ومـا رهبوا الحـديد وبأسه   هيهـات ، يـرهب ثـائـر أبـاء
ومضوا يموج ، مع اللواء ، نشيدهم   انـا لمـوطننـا العـزيـز فـداء
للـه مـوكبهم ، وخفـق لوائهـم   ونشيدهـم ، والشعلة الـزهـراء
والـزاحفون وراءهـم ، وكـأنهـم   طيـر ، عـلى ظمأ ، شجاه المـاء
يا فجر يـوم نضالهم حياك ، من   غـر الجبـاه ، نضـارة ورواء
ومن الوجـوه تهلل ، ومن الشفاه   تبسـم ، ومـن العيـون ولاء
ومن الضمائر صرخـة قـدسيـة   دوى ، لها ، ارض الحمى وسمـاء
ثـوروا لعـزة شعبكم ، وتسابقوا   مـن ذا الحمـاة • وأنتـم الابنـاء
يـا غيرة الاحـرار • صرخة أمـة   ضيمت ، ومـزق شملهـا الغـرباء
لا الامهـات بمـأمن • كـلا ولا •   أمـن النكـال وشـره الـرضعـاء
من ذا الحماة ، وبالرمال وقيظهـا   عطشى تقطـع ، منهم ، الاحشاء
من ذا الحماة ، وبالعراء شيوخكـم   جـوع يـذيب عظامهـم ، وشقـاء
ثـوروا لعـزة شعبكم ، وتسابقوا   وهبوا الحيـاة ، فانتـم الاحيـاء
يـا فجرهم • هذى الدماء دماؤهم   سفكت ، وعزت ، بالدما ، الخضراء
عبقت ، من الربوات ، انفاس الضحى   وزكـا المـروج ، وشعشع اللالاء
وبـدت بشاشات الحيـاة ، فهـذه   جنـاتنـا انسامهـا الانـداء
تجرى ، على تبـر الرمال ، جداول   مـدت ، عليها ، جناحها الـورقـاء
ومـواكب الاحرار ، هـذا للحمى   جيش ، وذلـك ، للعـلى ، بنـاء
شادوا ، بأيديهم ، مباهج مجدهـم   لا تعجبـن ، فللأبـاة مضـاء
شـادوه ذاك « البرلمـان » وابدعوا   مـا شاء احـلام الشهيد ، وشاءوا
افـريل • والدنيا ابتسام ربيعهـا   امـل ، وسحـر جمالهـا أغـراء
انظر فما بالجفـن دمعـة ثـاكـل   كـلا • ولكن ، بالقلـوب ، وفـاء
هـذا كقائدنـا « الحبيب » وأمـة   شيب شبـاب كالضحى ، نضـراء
نهضوا يلبـون النـداء ، فما دعـا   خـاضوا تساعى مـردهم عـذراء
فاشهـد بأنـا الاوفيـاء ، وأننـا   لحفاظنـا ، بـدم الشهيد ، سـواء
واشهد بـأن السلم ظـل لواءنـا   وذمـامنـا ، للعـالمين ، اخـاء



الشيخ محمد العربى الكبادى

نماذج من شعر

محمد العربي الكبادي

الشعـــــــــر

ولع الناس حديثـــــا وقديما بنفيس القول نثرا ونظيـمـا
لـــــكن الشعـر له منزلـة في قلوب القوم قد تعلو النجوما
كم امور وقف الفكـر عـلى طرقهـا لا يعرف النهج القويما
كشف الشعر لـه اسرارهـــا فمضى يسلك منهـا المستقيمـا
واخــو الشعر مــلاك صالح كلمـا كان على الحق مقيمـا
فاذا ما كان من اهل الهــوى كان شيطانا عـلى الناس رجيمـا
يمدح الخمر ويطـري اهلـه ويرى في جاحم الفسق نعيمـا
ويصوغ القول لم يحـفل به انجمـا كان يهدي ام رجومـا

* * *

قالـة الشعر عليكم بالـــذي يدع الجاهل في النـاس حليمـا
واسلكـوا منه الذي يكسبكـم طيب الذكر وان كنتم رميمـــا

محمد العربي الكبادى

حنيـــــن !..

ياحادي العيس نحو البيت والحرم   رفقا بمن فوقها من مدنف الرمم
وصغ حذاءك مما راق وابتهجت   به مسامع ذي وجد بذي سلم
فالصب يرتاح مهما اشتد لاعجه   الى مهيجه مـــن مطرب النغم
يالهف نفسي على يوم اكون به   فوق الرواحل تسعى بلا سام
واملا السمع من صوت الحداة وقد   ترنمت ببديع القـــول والكلام
تذيع للناس في صدق وفي طرب   ما في العروبة من فضل ومن كرم
ومـــا بنوا من فخار طال طائله   ابقى لهم طيبات الذكر في الامم
لاسيما الحرم المكي الذي بزغت   شمس الهداية منه في دجى الظلم
تلك البطـــاح مازلت اذكرها   كانني كارع من وردها الشبم
ساجهد النفس سعيا اناحل بهـــا   وان خضبت خفاف النوق بالعنم
وان عواد عدتني عـــن زيارتها   فليس لي غير قد خط بالقلـــم

محمد العربي الكبادي

شمس من العرفان اشرق نورها

قالها الفقيد في الذكرى الالفية للمعري
(تونس 1945)

لو عدت للدنيا ودهرك مسعد ... ماكنت تحمد ما ترى يا احمد
ورايت في جوف التراب غنيمة ... عند التأمل فضلها لا يجحد
والمكث تحت جنادل وصفائح ... اشهى واطيب للبيب وارغد
قضيت عمرك ناقما متضجرا ... مما عليه الناس مما يكمد
وغضبت للحيوان حين رايتهم ... شحذو لقتلته المدى وتعمدوا
لم يرقبوا فيه الجوار ولم تكن ... لهم قلوب بالمبرة تسعد
اني اقدر لو بعثت لساءكم ... هذا الذي فوق البسيطة يوجد
في شعرك السلوى لوقع حوادث ... مما مضى منها وما يتجدد
فلقد كشفت لنا الغطاء عن الذي ... تحوي النفوس من الشرور وتقصد
ونظرت للدنيا بعين بصيرة ... مصباح نور ذكائها متوقد
فحكمت احكاما يدين بصدقها ... من فكره مما يعاب مجرد
ونثرت من در النصائح ماله ... فضل يقل لما لديه العسجد
ما زلت تنطق بالنصائح صارخا ... ليهب قوم في الجهالة ارقدوا
تدعو الى الخلق الجميل وتزدري ... بزخارف عند النهى لا تحمد
وتحقر الدنيا وتسخر من فتى ... في نيل زهرتها يجد ويجهد

«00» «00»

امعرة النعمان قد اخرجت من ... من دون همته السها والفرقد
شمس من العرفان اشرق نورها ... فانير امصار به والفدفد
يجري حديثك في خروق مسامع ... لسوى حديثك لم تكن تترصد
والكل يهتف باسم شاعرك الذي ... هو عند ذي الادب المقيم المقعد
أبا العلاء بلغت من شأن العلا ... كبرى يد ما ان تطاولها يد
كبرت مواهبكم فضاق بها الفضا ... واساءكم هذا الزمان الانكد

فازددت احقادا عليه ولم تكن نيران حقدك عنه مما يخمد
ونهيت عن اكل اللحوم صيانة لدماء ذي نفس يحس ويولد
ويعز عمن كان مظهر كونه فقدانه فيضج قلب مكمد
فزهدت في اللحم اللذيذ ولم تكن رجلا لما صنع الانام يقلد
ولما رايت من الانام ومكرهم اصبحت حبس الدار لا تتردد
ودعيت رهن المحبسين تخيرا منكم لقول بالحقيقة يشهد
حبس العمى ولزوم بيتك لا ترى من ذا الورى ما منه نفسك تكمد
قد كنت تنتظر الحمام تالما من عيشة فيها المفاسد تنجد
وخشيت مفسدة تعم فكم نرى ما صالح بفساد ءاخر يفسد
ولقد بلغت مناك فأخبرنا بما لا قيت مما انت منه محسد
من جنة للقاكم قد زخرفت رغما لمن قد قال انك ملحد
والحق انك مخلص في دينكم ولدى الحقيقة مؤمن وموحد
فاذا اصابك في الحياة شقاوة باتت لها انفاسكم تتوقد
فاليسر بعد العسر امر ثابت والعمر عارية تصاب وتفقد
واذا الحياة تكشرت وتعبست فالفوز من بعد المما ت مؤكد
لاسيما لفتى تازر بالتقى ولديه ذكر في الصلاح مخلد
فهو الذي بالفضل يدرك رتبة ادراكها عنه القرائح تجمد
ويجاور الفردوس في امن فلا خطر يؤرقه ولا يتهدد
نزع الاله من الصدور حقودها فتخلصت ممن يكيد ويحقد
والله يمنحهم رضاه وفضله وشفيع مذنبهم لديه محمد
صلى عليه الله ما هبت صبا سحرا وطاب من الاصيل المحتد

محمد العربي الكبادي

منتزه المرسى

خليلي سيرا مسرعين الى المرسى
فان سفين الانس في شطها ارسى
وجولا بهاتيك المنازه جملة
بها صاحب الاشجان اشجانه ينسى
مناظران تنظر لها العين مرة
تجد منظرا يهدي لناظره الانسا
وفي ـ قهوة الصفصاف ـ ما انت راغب
وكف الاسى لا تستطيع له مسا
ففي مائه الفضي ما يشتفي به
وفي زهره العطري ما يشرح النفسا
جلسنا به يوما لنقضي ساعة
فطاب لنا حتى قضينا به خمسا
تدار على اسماعنا من طيوره
مدام غناء تطرب العقل والحسا
وقمنا على عزم الرجوع لاننا
فتنا بما يحويه من لذة تحسى

محمد العربي الكبادي

الشيخ العربي الكبادي

يخاطب واد مليان...

حيتك ريح الصبا يا واد مليان ... ودمت ما دامت فينا جد مليان
فى جريكم جريان الرزق فى بلد ... قد امه الناس من قاص ودان
من فيضكم قد سرت روح الحياة به ... كما سرى عندكم فى جسم انسان
فليس فى نيل مصر مع جلالته ... ما فيكم من بديع الحسن والشان
لله نهرك يا « مليان » من نهر ... اوصاف خلصت من كل نقصان
من حوله شجر الزيتون بالغة ... تميس اغصانها من فوق كثبان
قد توجتها ثمار جل صانعها ... تنسيك اسماط ياقوت ومرجان
اذا شدت فوقها الاطيار صادحة ... استمعت السحر من تلحين ترنان
فاغنم عشاياه ان كنت امرء فطنا ... وزره للانس من آن الى آن
ففيه ما فيه مما تستلذ به ... عين القريحة من ماء وريحان
ترى به الانس ما ان شانه نصب ... كانما انت فى فردوس رضوان
كان امواجه والريح يدفعها ... روادف الغيد فى احداق نشوان
يلقى الاصيل على فيضه ذهبا ... فتلتقى عنده للحن عينان
عين اللجين وعين التبر من نظرت ... اليها عين ذى فكر وتبيان
فقام يكتب مما قد تحيله ... شعرا لذى الوصف فى احسان حسان
يدوم ما دام « مليان » ببسمته ... يحيى النفوس وذكر الجديد ان

تونس بلاد الانس...

اغنية : نظم الشيخ العربى الكبادى

تونس بلاد الانس يامحلاها   يبرى المريض اذا يشم هواها

ما يتمنى :   تلقاه فيها لا كدر لا محنا

كانها فى الارض اخت الجنة   ذات المعانى فى ربيع سماها

تلقى فيها :   ما تشتهيه النفس وماليها

مصابيح تسرج للذى ياتيها   تهديه للباهى بحسن ضياها

وشوارعها :   محلا مسالكها ويا مبدعها

شهدت ارباب الذوق لى صنعها   بالحذق والاتقان لى بناها

وقت الضحوة :   امشى الباب البحر واشرب قهوة

وشاهد اصحاب اللطف اهل النخوة   متمتعين ابنورها وسناها

كيف اتعشى :   تشوف الكراهب كى تجى وكى تمشى

فيها الصبايا بالروائح تغشى   ينسيك طيب الورد طيب شذاها

فى تربتها :   فرضت على طبيعتى محبتها

ما نحبشى فى الناس من يمقتها   ويعيبها وينكر جميل ابهاها

الشيخ العربي الكبادي

يحيى وفدا ليبيا

حيا بها اول وفد « ليبى » حل بتونس وزار المعهد الرشيدى وهو متركب من البعثة الثقافية الطرابلسية :

ازف لوفدكم ازكى تحية ... ايا شبان ليبية البهية
فقد شرفتم الخضرا وقمتم ... بما يبدى فضائلكم جلية
وهذا معهد الالحان يهدى ... لكم من طيب نغمته الشجية
وينشر من نبوغ العرب فنا ... له اهتزت ذوو الفكر العلية
واصغى فى اللحون وزاد حسنا ... بزورتكم له عن طيب نية
تايد ما عرفنا من وداد ... قديم بيننا اضحى سجية
وما الخضرا لمصر فى حسابى ... كتربة ليبيا الاخية
اذا انتسبوا يضمهم اخاء ... ودين يكسب النفس الزكية
ودمنا فى صفاء واتصال ... تزين سناه اخلاق رضية
فليس العيش الا فى صفاء ... بعيد من مداناة الدنية
وسير فى طريق الرشد يبدى ... بما يرضى الرعاة مع الرعية
ادام الله مجدكم ودمتم ... سراجا تستنير به البرية

لله يا قلبي ...

بقلم : **محمد العربي الكبادي**

يعـذب طرفي بالمـدامـع والسهر ويلهب قلبـي بالتشوق والفكـر
وما كنت ادري قبل ان اعرف الهوى بان قلوب الغـانيات مـن الحجـر
لك الله يـا قلبي لقـد عشت حقبة من الدهر مرتاحا من الوجد والخطر
فزجت بك الاطماع في ابحر الهوى واصبحت في يم من الشوق مستعر
تجن اذا جـن الدجى من فراقهـا وتـذرف دمعـا سيله دونـه المطر
ومـن عجب ان العـذاب بحبهـا لدى النفس عذب مستطاب بلا ضجر
وان انا حاولت النزوح عن الهوى يعاكسني فوق الارض امشي مع القمر
اذا هي مـاشتني تخيلـت انـي وان كنت فوق الارض امشي مع القمر
ففي وصلها ما يدخل القلب جنـة وفي هجرها ما يقذف القلب في سقر
وفي وجهها مع صوتها ان تعربت بنغمتها ما يطرب السمع والبصر
فهل يمكن السلوان عنهـا لعاشق يرى في هواها غاية الانس والنصر

قف بالمنازل...

قصيد : نظم الشيخ العربى الكبادى

قف بالمنازل وانشق طيب رياها   واشرح متون صباباتى لليلاها
وقل لها ان تناست عهد من فتنت   فلى فؤاد وفى ليس ينساها
من صاغها الله من ماء الحياة وقد   ابقى بقاياه تجرى فى ثناياها
فتش على كبدى ان كنت مكتشفا   آثار حبى تجده فى زواياها
سالتها اين قلبى حين جدبنا . داعى الفراق فاضنانى واضناها
فاستعجبت ثم قالت كيف اعرفه   وكم قلوب لدينا قد وجدناها
فقلت قلبى قد اودى الغرام به   فصار من بينها فى الحب اشقاها
وذاك يكفيك ايضاحا لصورته   ما دام يفقد امثالا واشباها
عساك ان نظرت عيناك شقوته   كسوته من ثياب الوصل اضفاها

الى الاستـــــاذ

كن نحو من طلب العلوم رحيما — وانله حظا من نهـاك عظيمـــا
فالطالبون الى العلوم كفـاهـم — شرفـا وفضلا يوجب التكريمـا
ان اخلصـوا لله في طلباتـهـم — واتوا لدرسك يبتغـــون علوما
فانلهم ما املوا واسلـك بهــم — طرقا حسـانـا اشبعت تقويمـا
وتجنب الطرق التي ذهبت كما — ذهب الرجـاء باهلها لتقومـــا
فالدرس ان كان المعلم مخلصـــا — فيما يقرر لا يكون عقيمـــا
بل لا يكون سوى الولود لفتية — تجنى بهم اوطانهـم تعظيمـــا
كل امرىء يعزى الى استاذه — وبه ينال السبـق والتقديمـــا
واذا المعلـم لم يقم بفـروضه — خسر الرشـاد وافسد التعليمـــا
فخذوا سبيل الجد واتبعوا الحجا — حتى يكون فخاركم مـرسومـا
في جبهة الايام ليس يزيلـــه — شيء ويبقى في الا نام فخيما
ويكون من اخذ العلوم عليكـــم — بين البرية فـاضلا وعليمـــــا

محمد العربي الكبادي

الجـــــرائد

لكل زمـان مصدر للفـــوائـــد ... ومصدرها في العصر عز الجرائد

تفيض لنا انهارها في نهارهـا ... بحورا بما يصبو لـه كل ناشد

وتاتيك بالاخبار مـاجد باكـرا ... برمته محفوفة بـالشـواهـــد

فترتاح للخير الذي في سطورها ... جميع الورى من كل ساع وقاعد

وتبرز والآداب ضمن وشاحهـا ... مقلدة اجيادها بالقصـــائـد

فتهتز اربـاب القريض لنشرهـا ... جواهر شعر حسنه غير بـائـد

بها تعمر الدنيا ويرشد اهلهـا ... لصالحهم حال الهنا والشدائـد

فكونوا لها انصار صدق تكن لكم ... كاحسن ما يجلى لكم من خرائد

* * *

لقد اصبحت هذي الجرائد آية ... تسير مسير الشمس بين المعاهـد

لسان الشعوب الصارخ الصوت كلما ... دهى حادث قامت بدفع المكائد

فيرجف قلب الظالمين لصوتهـا ... وتضطرب الاعضاء من كل مارد

فقل لبنيها الساهرين تجـردا ... لاعطائها ما ينبغي من عوائـد

اذا انتم اخلصتم في صنيعكـم ... بلغتم من الخيرات اسنى المقاصد

واثنت على اعمالكم كل امـة ... وذاك على الاحسان اكبر شاهد

محمد العربي الكبادي

شميم الزهر

شميم الزهر متع الحياة | على نغم الطيور المطربات
ومنظره البهيج له جمال | يلين بلطفه قلب القساة
يريك بحسنه حسن العذارى | وبالنفحات ريح الغانيات
يذكر بالخدود الورد منه | ونرجسه بألحاظ المهاة
وما يبدو على الاغصان منه | يذكر بالقدود المائسات

* * *

بعيشك هل رايت بساط انس | تطوف براحه راح السقاة
خلا من باقة الازهار تسدى | له ارجا به طيب الحياة
فبادر للذي تصبو اليه | وكن للعاذلين من العصاة
لتظفر من زمانك بالاماني | قرير العين من قبل الممات

محمد العربي الكبادي

ليت شعري...

قصيد : نظم الشيخ العربي الكبادي
تلحين صالح المهدي
نغمــة الاصبعــين

ليـت شعــري اى شيء دفعـــك   لتضيعـى مغـرمـا مـا ضيعـك
يـا حيـاة الـروح والجسـم معـا   هـل لنـا من سـاعـة تقضى معـك
ان اشـــواقنـا اسـالت ادمـعى   طـول ليـلى ، هـل اسالت ادمعك ؟
خبـرينـى   ففـؤادى موجـع   يكتسى البـرء اذا مـا سمعـك
وارحـمى صبـا تـولاه الجـوى   لا تطيعـى القـول ممـن منعـك
انت روحـى يـامـلاكى فـاشفقى   واذكـرى رحمـة رب صنعـك
عـاينت عينـاك فى جسمى الضنى   عـلى مـا عـاينتـه قـد افـزعـك
فاطـلعى فى جـو اسقـامـى شفـا   فـانـا ارقـب دهـرى مطلعـك

ام الحسن غنات...

اغنية : نظم الشيخ السعربى الكبادى

ام الحسن غنــات فــوق الشجــرة   سامــع اصداهــا م العــلائــل يبــرى

طــار انعاسى :   او هــام الهــوى واتــوابعو فى راسى

فى الحــين قمت انفركس عــلى كاسى   ونــاديت علخــدام حطــو الصفــره

هاتوا ريــدى :   قــد القظيب وعيــون ريــم البيــدى

اذا لــفت وجــات هــاكــه عيــدى   وانشــوف ضــو اسنانها آلى فجــره

كيف تضحكلى :   بعيــد الهنــا من ضحكهــا يــرجــلى

فــى حبهــا ضيعت اصــلى وفصلى   وابقيت هــايــم نتبــع فــى الجــره

يــا سعفــايــا :   فيكمشى عــات ابلــغ المشكــايــا

ويحكيلهــا بمــواجعــى وابــدايــا   ثمــاش مــا تعطف عــلى مــــره

اذا عطفــت :   ثــم احــوالى مــا لعــذاب تصعــب

مـــا بعتش الغــر زولهـــا نتلفت   محــال نجعــل للمليحــه ضـــره

شيخ الادباء كانك تراه

بقلم : عثمان الكعاك

أ ـ الرجـــل

1 ـ **الاسم والنسب** ـ هو ابو عبد الله محمد ، بن الشاذلى ، بن محمد الصغير الشبلى الكبادى الاندلسى اصلا التونسي ولادة ومنشأ وقرارا ووفاة

2 ـ **ابـوه** ـ محمد الشاذلى بن محمد الصغير الكبادى كان كاتبا منشئا وحقوقيا ضليعا ولى رئاسة محكمة الاستئناف المدنى وتوفى سنة 1914 ، وابوه محمد الصغير الشبلى كان عدلا موثقا بتونس ، وهو ينتمى الى اصل اندلسى هاجر الى تونس حوالى 1017 هـ / 1613 م

3 ـ **امـه** ـ عائشة بنت الحاج حمودة الطرابلسى من البيوتات التونسية توفيت سنة 1304 هـ / 1888 م وتركت الاستاذ ابن ثمانى سنوات فحضنته عمته هنونة بنت محمد الصغير الشبلى الكبادى

4 ـ **ولادته** ـ ولد بمدينة تونس يوم الجمعة 28 المحرم 1298 الموافق 31 اكتوبر 1880 بالدار الكائنة بنهج المر ، زنقة ام هانى رقم 3 وهى الدار التى عاش بها فيما بعد ، وصارت قاعاتها مجمعا ادبيا عند مرضه ، وبها توفى ومنها نقل الى مقبرة الزلاج

5 ـ **دراسته**

أ ـ **بالكتاب** ـ حفظ القرآن الكريم والمتون بالكتاب المجاور لبيته على المؤدب الشيخ محمد المختار البحرى العونى ، فختم كل ذلك وهو فى الثانية عشر

ب ـ **بالزيتونة** ـ ثم انتقل الى الزيتونة سنة 1310 هـ فدرس على شيوخ اجلة اشهرهم : 1) سالم بوحاجب ، 2) عمر بن عاشور ، 3) صالح الشريف، 4) محمد بن يوسف فتخرج عليهم ـ وعلى غيرهم ـ احسن تخرج فى العلوم العربية والادبية والفقهية ، وقد اعانه على ذلك ذكاء وقاد ، وحافظة جيدة ، وتشوف علمى لموع وهمة فى التحصيل لا تبارى

وقد عاصره من ادباء طبقته : 1) الشاعر الكبير محمود موسى المنستيرى ، 2) المؤرخ الاديب محمد مخلوف المنستيرى صاحب « شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية » وناهيك به من كتاب ، 3) الشاعر الفحل حمودة القصار وقد سبقه الى الدار الفانية بمدة يسيرة ، 4) الشاعر الكبير محمد بوشارب الهلالى ، 5) الشاعر الاديب محمود سليم ، 6) الشيخ الاديب الشاعر الفقيه الصادق

المحرزى حفظه الله ، 7) الشاعر الاديب الفقيه الصالح ادريس محفوظ قاضى بنزرت وصاحب الفتوى الشهيرة ضد التجنيس التى قضت على هذا الداء السياسى العضال قضاء مبرما الى غير هؤلاء من نبهاء الادباء الذين نبهوا فى آخر القرن الماضى ونبهوا فى النصف الاول من هذا القرن ، وقد كان الاستاذ الكبادى يثنى على جميعهم الثناء العطر وينوه بنبوغهم الادبى ويذكر سجاياهم الحميدة

ج ـ **بضاعته الثقافية** ـ الا ان الكبادى الذى كان من انجب طلبة طبقته وقد نال التطويع سنة 1319 ـ 1902 لم يقتصر على مجرد الدروس ، بل أكب على المطالعة ، فطالع معظم الدواوين وامهات كتب الادب مثل العقد الفريد لابن عبد ربه وامالى ابى على القالى والكامل للمبرد وتصانيف الجاحظ باكملها وكتب ابن قتيبة ، ولكنه اعتنى عناية خاصة بكتابين : 1) نفح الطيب للمقرى بالاضافة الى المغاربة ، 2) الاغانى لابى الفرج بالاضافة الى المشارقة ، وكان الشيخ يسرد من طرف ثمامة غالب ما طالع من الكتب وجملة من الدواوين ولا سيما كتاب الاغانى ، وهو يعرف بدقة ما ومن يوجد فى نفح الطيب والعقد والحيوان والبيان والتبيين ولسان العرب ، والى جانب ذلك يعرف استاذنا الكبير مصادر التراجم والدواوين وطبعاتها الشرقية والغربية ومحاول وجود مخطوطاتها فى الشرق واوروبا الى جانب ملكة نقدية مجبول عليها بالفطرة وكاسب لها بمطالعة كتب النقد وممارسة تصانيف الادب

د ـ **ثقافته الغربية** ـ لا يعرف الكبادى لغة غربية ولا درس ادبا غربيا فى لغته الام ، الا انه قد طالع اداب الفرنسيين والانكليز والروس والالمان والايطاليين والاسبانيين فيما ترجم عنهم الى العربية من دراسات اشخاص وعصور وتصانيف مؤلفين ، وقد كنا نجتمع بغرفة الاساتذة ، بالعطارين حين كانت تاوى المدرسة العليا للغة والاداب العربية ، وكان يحضر الندوة المستشرق الكبير وليم مرسى والمتوسط ليون برشىٔ وجماعة من الاساتذة التونسيين ويرد ذكر اديب اوروبى عفوا او قصدا ، فيقول الشيخ « نعم ٠ ٠ » فى شىء من التطويل ثم ينهال كالسيل المتدفق ، واذا سمعنا « نعم » هذه كانت لاذاننا واذهاننا جرس انذار بخير

وزبدة المخيض لقد كان الاستاذ الكبادى شيخ الادباء بحق : موسوعة ادب ناطقة تاكل الطعام وتمرح فى الاسواق ، وخزانة شعر متجولة ، وسجلا قد تضمن جمهرة الانساب والاداب والاغانى والشعروالشعراء وعيون الاخبار وغيرها من امهات الآثار

فهو شخصية عجيبة بحق ظرف ادب ومعون لطف ومجموعة فضائل ومحامد وشمائلوشخصية لوعة متحفية قد احتفظ لنا بها القرنالرابع فابرزها فى القرن الرابع عشر ، فنحن اذ نماشى الكبادى نماشى ابنزيدونوابنعمار وابن هانى والمتنبى واضراب هؤلاء كانهم حفظوا لنا مجمدين حفريين ، اذا نظرنا اليه راينا

بزتهم وظرفهم وسلوكهم ، واذا سمعناه سمعنا لغتهم وادبهم وملحهم ، واذا عايشناه عشنا عيشتهم برهة من الزمن لا تحسب من العمر

والشيخ الكبادى باقة عطرة من الفضائل لا يشكو الى احد ولا يشكو من احد ولا يعتب على دهر ولا يتذمر من جيل ولا يعيب شخصا ولا ينتقد سلوكا ولا يقع في عرض ولا ينقم على حكومة اذا نطق فيحمد الله والتنويه بالخاص والعام ثم ينهال يتحدث عن الادب والادباء ، ونهاية ما سمعناه منه فى انتقاد الناس – على طول معاشرتنا اياه انه يحذف احيانا الباء من **بشر** ثم يبتسم ابتسامة تسامح مع ابناء آدم واعتذار لهم على ضعفهم ورضا عن ملحته هذه التى هى فى الحقيقة طريفة ظريفة

6 – ازواجـــه

أ – بيـة بنت قـائد الجـزائريـة ، اصلهـا مـن سـوق اهراس ، تزوجها سنة 1912

ب – بية بنت حمودة الشائب ، وسكن بها فى زنقة سيدى عثمان ، نهج عامر باى ، ثم فارقها

ج – زبيدة بنت دبيش ، بقيت فى عصمته مدة ثم فارقها

د – فاطمة بنت سلومة الجعائبى تزوجها سنة 1955 ، وكانت بـارة بـه الى يوم الممات

ولم يرزق الشيخ الكبادى ذرية من اطفال او بنات الا من كتبت لهم ولهن السعادة من ابنائه الروحيين الذين اخذوا عنه وتمرجوا عليه

8 – تقلبـاتـــه

أ – التدريس : الشيخ العربى الكبادى مدرس محاضر ممتاز

1) لانه يستمد من فيض معلوماته الوسعة الطريفة الشيقة فالآخذ عنـه مغترف من بحر لا تكدره الدلاء

2) لان بينه وبين طلبته تجاوبا فهم يحبهم وينوى افـادتهم وهم يحبونـه ويعتزمون الاستفادة منه ، وبهذا التجاوب يقع « الفتح » الذى هو انفساح النفس لتلقى المعلومات

3) لان مجلسه مـرح ريق فيه الابتسامـة الوقورة والنادرة الفكهة المريحة والملحة المزيلة للسامة والخالقة لجو الانبساط ليس فيه تقبض ولا تزمت ولا تأله ولا القاء من منبر عتو وجبروت كما ليس فيه ابتذال ولا استهتار ولا استخفاف ولا مجون قاض على ناموس العلم

4) لان دروس الكبادى نقط انطلاق لقضايا جامعة ومواضيع طريفة شاملة يلخصها فيحصل التدريب عليها والشدو لها ويتبسط فيها فيتم التحصيل ويذكر

مصادرها فيحصل الاستيعاب وينقدها فيشحذ الذهن وتتكون الروح النقدية النزيهة ويشرح طرق البحث فيها فيتعلم الطالب المنهاج ويذكر مصادرها فتحصل ملكة التبحر ، ياتى الطالب وهو صفر ، ويخرج وهو ملم ويتخرج وهو امام

5) الاستاذ الكبادى مثالى فى حلقة دروسه انيق فى بزته ، انيق فى جلسته انيق فى لغته انيق فى سلوكه

نظيف المكان والبدن والثوب والقلب والعقل انيق اللباس جدا فهو ظريف بغداد وفتى الاندلس وجليل القيروان انموذج الحضرى الرفيع التونسى

يلبس اللباس الفاخر ويتانق فى لبسته ويختتم احسن اختتام ويتحلى بالذهب فى ساعته ونظاراته ،ومبسم سيقارته

ومواضيعه انيقة ايضا من النوع السامى الرفيع ، وعبارته منتقاة ظريفة محلاة بالمحسنات البديعية سهلة الماخذ منطبقة لمعناها سلسة انسانية تنثر كالدر

وقد درس الكبادى فى المعاهد الاتية :

1) **بالزيتونة** (1903 ـ 1913) كان الاستاذ يقرىء باجرة **النكتة** وهى ما يتحصل من اجرة المتغيبين من الاساتذة الرسميين ، ودخل المناظرة مرارا فلم يكتب له فيها النجاح ، لان الحسد شجرة خصيبة بتونس ولان الاغراض اكثر جموحا من نهر مجردة اذا فاض ، والكبادى مصداق المثل « آفتى معرفتى » والنظرية السائدة يومئذ هى انه « يجب التسوى من اسفل » ومع ذلك فقد تخرج على استاذنا جماعة يشار اليهم بالبنان نخص بالذكر منهم : 1) القاضى الاديب ابن عبد الجواد ، 2) الاديب الحقوقى على رضا بن عاشور ، الخطيب المصقع والكاتب الكبير عبد الرحمان الكعاك وغيرهم

2) المدرسة العليا للغة والآداب العربية (1925 ـ 1950) قضى بها ربع قرن يلقى محاضرات فى الادب فأقرأ العمدة لابن رشيق والصناعتين وديوان المعانى لابى هلال العسكرى، والمثل السائر لابن الاثير والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ واما لى ابى على ونماذج من الاغانى لابى الفرج ، وكان يحضر دروسه اساتذة من المعهد فى مقدمتهم مديره المستعرب الكبير وليم مرسى ، وشيوخ وطلبة من الزيتونة وغيرها ويمتد الدرس الى ما شاء الله ويرافق الجماعة شيخهم الكبير الى بيته فتكون محاضرة بالطريق العام تستغرق مدة ويفارقونه بسقيفة بيته على مضض ، وفى مقدمة مريديه من رجالات الادب فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة

ولم تكن دروس الكبادى بالعطارين مقصورة على قاعة المحاضرات ، بل كانت تسبق بمحاضرة على الاساتذة فى قاعة الاساتذة وتلحق باخرى فى الطريق

العام بين العطارين ونهج المر وتعقب بثالثة فى فترات الامتحانات عند دورتى جوان واكتوبر

3) **دروسه بالخلدونية** (1930 – 1933) القى الكبادى اربع سلاسل كاملة الحلقات على منبر الخلدونية :

1) السلسلة الاول : الادب الجاهلى

2) السلسلة الثانية : الادب الاموى والعباسى

3) السلسلة الثالثة الادب الاندلسى

4) السلسلة الرابعة الادب التونسى

وكانت قاعة المطالعة بالخلدونية تضيق بما رحبت لما يحتشد بها من النخبة النيرة التونسية وغير التونسية المستمعة لهذه المحاضرات والمسجلة لها

4) الى جانب هذه الدروس والمحاضرات العامة كان يلقى استاذنا الراحل محاضرات فى امهات كتب الادب العربى بمحافل خاصة ، ومن ذلك :

1) شرح ديوان المعانى لابى هلال العسكرى بالبيت الاصرمى العامر فى نفس المكان الذى كان يتسامر فيه على عهد على الباشا على بن محمد نبغاء الادب التونسى منذ قرنين : الورغى والغراب وعبد اللطيف الطوير واحمد سمية والعصفورى وحمودة بن عبد العزيز

2) شرح الكامل للمبرد بمدرسة النخلة (1936) – 1937 – 1938) فى الجمع والاحاد على نخبة من الادباء فى مقدمتهم الاستاذ احمد بن ميلاد ، فقد احيا بذلك ايام المدرسة المعرضية (النخلة فيما بعد) فى القرن السابع الهجرى حينما كان المؤرخ الاديب احمد بن محمد الغرناطى يلقى دروسا فى الادب والوعظ بمحضر الامير يحى الحفصى

3) شرح عيون الاخبار لابن قتيبة بناد خاص بشارع باب المنارة قرب منزله

ب – كاتب بادارة الاوقاف – باشر الاستاذ الكتابة بالاوقاف بعد انفصاله من الزيتونة ثم اعتزلها بعد مدة وقنع بمعاشه النسبى المصروف اليه

9 – **مرضه** – اصيب الشيخ بشلل فى رجليه جعله فى اول الامر يقنع بالذهاب ال المحال القريبة من بيته ، ثم اقتصر على الخروج امام بيته ، ثم لازم الفراش من ثلاث سنوات ، فتحولت غرفة نومه الى ناد ادبى دائم يزوره فيه مريدوه ويتحول اليه الادباء ورجال الاذاعة فى اماسى الاحاد

10 – **وفاته** – ما زال المرض يشتد بالشيخ وهو يذوب كالشمعة الى ان توفى يوم الثلاثاء 21 شعبان 1380 – 7 فيفرى 1961 على الساعة الحادية عشرة

صباحا ، فكانت لمنعاه رنة اسى عميق فى جميع المحافل العلمية والتدريسية والادبيـــــة

11 – **موكب جنازته** – انتظم موكب الجنازة يوم الاربعاء ، وخرج بنعشه اصدقاؤه ومحبوه ، ووصل الموكب مقبرة الزلاج التاريخية على الساعة الرابعة ودفن علىمقربة من تربة آل خلدون وآل التيجانى وآل الصقلى ، فقد عاشر الادباء والعلماء حيا وميتا ، والقيت على نعشه مرثيتان الاولى جادت بها قريحة الشاب الاديب السيد الهادى نعمان المنستيرى والثانية دبجها يراع الكاتب الاديب السيد احمد خير الدين

ب – الاديب

1 – العربى الكبادى – شيخ الادبـاء – شاعر وكاتب وصحفى ومحاضر ومجالسى Salonard واستاذ وراوية وناقد ، هكذا تتمثل لنا شخصيته الادبية ودوره الادبى الذى قام به فى المجتمع التونسى – وخارج هذا المجتمع طيلة 63 سنة ، وهو رقم قياسى فاضل مرموق

1 – **الشاعر** – الكبادى شاعر مكثر رقيق اللفظ جزل العبارة رقيق المعنى طريف التوليد ، قـد جمع بـين اساليب الجاهليين والبغداديين والاندلسيين والتونسيين فكان « كجامع القيروان » الذى جمع كل طرفـة مطروقة فصار – بمجموعه المنحول – طرفة الطرف واعجوبة الدهر التى هى طريفة فى ذاتها مستقلة بطابعها مدموغة بميسمها الخاص

والكبادى يطرق جميع المواضيع المحفوظة والمبتدعة والرمزية والـواقعية والطبيعية ، فتتنقل معه فى رياض زهور فيها صفوف الالوان والعطور والاشكال والحركات التى هى جماع الرياحين

وهو شاعر بالفصحى كما هو شاعر بالعامية الشعبية ، ولكنه بالاولى اشهر سمعة واكثر انتاجا

2 – **الكاتب** – ليس الكبادى الكاتب فى مستوى الكبادى الشاعر ولا الكبادى الخطيب

ولم يدع يوما ما الرجحان فى النثر ، وقد املى امالى كثيرة موضوعها اطرف من قالبها ، وله من المحاضرات الاذاعية ما يزيد عن 500 محاضرة ومن احاديث الادب بالخلدونية ما يزيد عن 100 حديث ، ولكن مجموع هذا وذاك هو دائرة معارف ادبية قيمة

3 – **الصحفى** – باشر الاستاذ الكبادى الحياة الصحفية وهو فى سن الشباب ففى سنة 1327 / 1909 اصدر الحاج البشير بن عـزالدين جريـدة « النهضة » الاسبوعية ، واسند رئاسة تحريرها الى الشيخ الكبادى ، فانتهج لها كما هو واضح منهجا ادبيا بحتا ، وقد قضى 61 سنة من حياته ينشر قصائده بالصحف

مما لو جمع لكان سفرا ضخما نفيسا فلا تكاد تخلو جريدة من رائع قريظه

4 ـ **المحاضر** ـ الكبادى محاضر مبدع وخطيب مصقع صقيل الديباجة نقى الالفاظ لموع المعانى سلس العبارة واضح التركيب متسلسل المعانى حليم النسج منطقى التبويب والتفصيل جلى البسط محكم طرق المواضيع ، يحاضر على منابر المعاهد ومناضد المقاهى والطريق العام وفراش الاحتضار ومحافل المؤتمرات ومصدح الاذاعة ، اذا فاتحته فى موضوع فكانما هدمت سدا من نهر جموح يسحرك ببلاغته ويسترعى اهتمامك بدقة البحث ويدهشك بوفرة العلم وغزارة المادة عنده ولكل سؤال جواب

5 ـ **المجالسى** ـ Salonard الكبادى مجالسى قبل كل شيء وفى المقام الاول ، ونوادى الراحل الكريم كثيرة

1) **جملة مقاه** : 1) مقهى العيارى بنهج المر ويجالسه فيه الاديب الشعبى على الدوعاجى وعلى العيارى ، وعبد الحميد طقطق ، الصادق دكوش ، عبد العزيز سلامة

2) نادى البانكة العريانة ، وهو مقهى كائن بباب المنارة امام كتابة الدولة للدفاع الوطنى ، مقهى عربى قديم يعلوه طاق علوى فيه جنينة غناء وتشد الى هذا النادى رحلات الشتاء والصيف من طرف كل اديب ومتأدب

3) مقهى الهناء بالباب الجديد وهناك تنعقد حلقات المحاضرات والسمر يحضرها امثال السادة محمود اسطامراد واحمد حجوج ومحمد عبد الوهاب وعثمان بن منصور ومحمد الصالح المهيدى والبشير الفورتى وجماعة

4) **مقهى** البيت الذهبى بنهج هولاندا فى ليالى رمضان على الخصوص

2 ـ **النوادى العلمية** :

1) نادى وليم مرسى المستعرب الكبير بنهج بوشناق ، يحضره امثال الشيخ محمد بن القاضى والاستاذ ح ، ح ، عبد الوهاب ، والسيد خير الله بن مصطفى وهو ناد ادبى لغوى رفيع

2) **نادى** الخلدونية ـ وكان يحضره السادة الفاضل بن عاشور وبلحسن بن شعبان وعبد الرحمان الكعاك واضرابهم

3) **نادى** الرشيدية كل يوم جمعة ، بدار الاصرم بنهج الباشا من 1941 الى 1947 ، ثم بدار الدريبة القديمة من 1947 الى ان عجز عن الانتقال ، ويحضره السادة محمد الصالح المهيدى والهادى العبيدى ومحمود بورقيبة ومصطفى زبيس وجلال الدين النقاش ورئيس الرشيدية الاستاذ مصطفى الكعاك والاستاذ بلحسن بن شعبان ومدونه الاستاذ المرزوقى وكان الاستاذ الكبادى يتراس هذا النادى ويتراس اللجنة الادبية لاختيار النصوص واصلاحها بالمعهد الرشيدى

– **الكبادى والمسرح** – منذ ظهر المسرح العربى بتونس – سنة 1908 – والراحل الكريم يشارك فى الجمعيات التمثيلية ، ثم لما اسست لجنة الدفاع عن المسرح ، بعد الحرب الثانية ، كان اول رئيس لها وقد القى محاضرات مسرحية عديدة

الرحلات – تنقسم رحلات الاستاذ الكبادى الى :

1 – داخل القطر التونسى

فقد زار جهات كثيرة ضمن قوافل استطلاعية وادبية واثرية وفنية كنا ننظمها ، وكان يلقى المحاضرات الشيقة خلال هذه الرحلات منها رحلات الوادى الكبير ودقة وطبربة الكبرى وراس الجبل وبنزرت وغيرها

واهمها رحلة القيروان سنة 1931 وقد اجاد فيها وافاد (انظر نشرة الخلدونية)

ب – خارج القطر :

1) رحلة المغرب الاقصى لحضور مؤتمر المعهد العالى للدراسات المغربية

2) رحلة طرابلس الغرب

فى الاذاعة – دخل الاستاذ الكبادى الاذاعة كمحاضر فى اكتوبر 1938 واستمر على المشاركة فيها الى فيفرى 1961 ، فقضى بها 23 سنة القى فيها ما ينيف عن 500 محاضرة ، كما كان يرأس بها المحكمة الادبية ، وكان فى الاول ينتقل بنفسه ، ثم صار يرسل النصوص ، ثم – لما لازم الفراش – كانت الاذاعة تنتقل الى بيته ندوة وجهازا ، ولو نشر ما القاه بالاذاعة لكان – من حيث الكم – مجلدات ، و – من حيث الكيف – دائرة معارف للادب العربى

هذه هى شخصية شيخ الادباء حاولنا ان نرسم ملامحها فى ايجاز

عثمان الكعاك

بكتك تونس ...

بقلم : **الشاذلي عطاء الله**

بكتك تونس يا صناجة العرب ... وما بكت غير اجيال من الادب
وروع انضاد في الخضراء براوية ... اغنى عن الحفظ والتقييد والكتب
حماد تونس والمحيي مئاثرها ... ولاقط الدر من تاريخها الذهبي
وحارس الادب الغالي بمقوله ... وقارض الشعر في اسلوبه العربي
ومظهر الخلق السامي بما زخرت ... به مكارمه من خير مكتسب
كأنه زهرات الروض ايقظها ... تنفس الفجر في ترنيمة السحب
ذكاؤه هتك الاستار فانكشفت ... عن المحجب والمطوى في الحقب
كانما الجوهر الشفاف قد صقلت ... صفاته فصفا من كدرة الحبب
فلا تمر ظلال فوق لوحته ... حتى تسجل عفوا دون ميا تعب
كعنصري معدن صاف قد اتحدا ـ ... ممغطسين بجذاب ومنجذب
والروح تصفو اذاكانت عناصرها ... من خفقة النور لا من جذوة اللهب
يا رائد الجيل سارت في مواكبه ... قوافل العلم بين النص والحبب
صاد الاوابد والتفت حبائله ... على القنيص فبات الصيد في الجرب
جمعت ما فرقته الكتب من ادب ... فكنت « دائرة » للعلم والادب
وكنت راوية الاجيال تجمعها ... فرائدا تنتقى من خير منتخب
احطت علما قالوا وما كتبوا ... ولم يفتك قصيد قاله عربي
وكنت اعجوبة الدنيا ومدرهها ... وحافظ اللغة الفصحى من العطب
وناقد الشعر نقد العلم يسنده ... ذوق تنزه عن ميل وعن ارب
تركت فينا صدى لم يطوه نغم ... من القريض ولا لحن من الخطب
وكنت تفصل عهدى نهضة بدءا ... بشعرك الفحل في اثوابه القشب
فكان ان طوى العصر القديم بما ... في نظمك الجزل من جد ومن لعب
واصبحت تونس في عهد وثبتها الكبـــرى تشق طريقا واضح الشعب
تطلبت حاجيات العصر ارصدة ... من معطيات ومن جهد ومن دأب
تجاوبت فيك اصداء وقد وجندت ... في عبقريتك العظمى صدى الطلب
فكنت رائد جيل سار خلف لوا ... رفعته خافقا يعلو على الشهب
ترسم الخطوات السايرات على ... هدى ورفق وما سارت على صخب
وعشت حرا كريم النفس مرتفعا ... عن الدنايا عزيزا شان كل ابي
عزفت عن بهجة الدنيا وزخرفها ... وما حفلت بجمع المال والنشب
فنم هنيئا فمثواك الجوانح من ... شبابنا الصاعد الوثاب للرتب
واسعد بتربة ارض قد كلفت بها ... وانعم بخلدك يا صناجة العرب

الشاذلي عطاء الله

تابين الشيخ العربى الكبادى

لقد عدا عادي الموت — مرة اخرى — على علم من اعلام تونس البارزين ورجل من رجالاتها البارين بل على مفخرة من مفاخرها التي بها تزهو وتباهي، وتعدها من حلاها الباهرة، وذخائرها الفاخرة.

لقد عدا الموت على شيخ ادبائنا الكبادي « وليس على عدوان الموت من معد » فبكته المحافل والمدارس، وبكته الحلقات والاندية والمجالس وبكاه كل من عرف فضله ونبله، وطيبة قلبه، وكل من روى من معين علمه، واغترف من فيض ادبه.

نعم لقد فقدته المحافل والمعالم، وفجع فيه ابناؤه الروحيون ، — وما اكثرهم — ونعته الجرائد والمجلات والإذاعات وما منهم ومنها الا واله لا يتسلى ، وحزين لايتعزى — وكيف لاتبكيه الاندية والمحافل وقد كان منذ نصف قرن واسطة عقدها وحلية جيدها — كان راويتها المبدع، وخطيبها المصقع ،كما كان محاضرها المعجب وساجعها المطرب.

فان بكته الرشيدية « » فلانه طالما نفحها باشعاره واحيا لياليها باسماره وشمل روادها وقصادها بفيض من روحه الزكية وشمائله الرضية .

وان بكته الإذاعة فلانه كثيرا ما عطر اجواءها. بما حمل الاثير من احاديثه الطلية ومجالسه العذبة الشهية حتى ليخيل للسامعين ان عهد الاصمعي والمفضل وابي على القالي قد نشر من وراء حجاب وبعث من بعد الدثور —

وان تحدثت عنه الجرائد والمجلات واطالت فلانه طالما زينها بأشعاره وآثاره تلك الاشعار التي كانت تحمل الينا قبسات من اندلس العرب او نفحات من بغداد بني العباس فتجعلنا نعيش معه في عصرها الكبير — لانه كان رحمه الله — لا يحيا بروحه الا فيها، ولا ينسم الا عبيرها، ولا يتفيأ الا ظلالها ولا يناجي الا رجالها ولو كان يحيا بالجسد مع ابناء القرن العشرين.

وكان في نواديه الشهيرة او بمنزله دائما كالعهد به : صاحب الوجه الباسم المتهلل ، والطبع المتزن الهادي ، والمزاج المعتدل المواتي —

كان دائما المحاضر الذى لايضجر او يتعب، والمتحدث الذى لايمل او يغضب يجلس بين يديه كبار الادباء وفحول الشعراء ونوابغ العلماء دون ان يجدوا

غضاضة في ذلك ويصغون اليه – اذ كان هو المحاضر وحده – ثم لا ينصرفون الا وقد صدروا عنه بعلم مجدد ، او حديث مستعذب او نادرة طريفة.

وكان في مجالس الانس روحها الخفاق وزينتها الفاخرة لانه هو الذي يسبغ عليها رونق الادب ويكسبها بهجة الظرف والكياسة –

وكان في حلقات الدروس مثال الاديب العالم – فالدرس معه لا مشقة فيه ولاجفاف ، ولا حذلقة ولا تزمت – بل هو اشبه بالتجوال في روضة اريضة حافلة بصنوف الفواكه والثمار وضروب الازاهر والرياحين فما تزال معه متنقلا من طرفة الى نادرة ومن ملحة الى نكتة، الى استطراد ممتع الى فكاهة لطيفة – ويمر الزمن وتمضي الساعات دون ان تشعر بمرورها وتتمنى لو طال الدرس وطال معه الحديث – وما بالغ تلاميذه حين قالوا ان دروسه تستمر حتى في الطريق –...

لقد عرفت الشيخ الكبادي منذ عهد الشباب ولا يخطر في بالي ذكره الا ذكرت مجالسه التي حضرتها في اول عهدي بالادب والتي اوحى فيها الي والى رفقائي سحر الاندلس والافتتان بأدبه – فكلمات قرطبة وولادة وغرناطة وابن الخطيب وابن زيدون ونحوها اصبحت لها في نفوسنا نحن شباب ذلك العهد – من الاصداء البعيد، والامتداد الايحائي ما جعلنا نتصور تلك العصور الخالية في رؤى سحرية عجيبة – لقد مات شيخنا الكبادي ولكن ذكراه سوف تبقى عالقة في نفوسنا على الصورة التي تراءى لنا بها في شبابنا وسوف تبقى تلك الاصداء البعيدة التي بعثها فينا وذلك الايحاء الذي ركزه في عقولنا حيا قويا لايمحوه كر الزمن ولا يد الحدثان وسيبقى ذكر شيخ الادباء في نفوسنا. نحن الذين عرفناه منذ عهد الشباب – وكأنه المثل الاعلى للرجل الذي يعيش للادب وللادب وحده يعيش له ليرويه للأجيال بعد الاجيال مؤثرا صحبة اعلامه على كل مال ونشب مكتفيا بدرر اشعارهم وثمين اقوالهم عن كل علق نفيس يطلب وكل ذخيرة تذخر.

فرحم الله استاذنا الكبادي والهمنا عن فقده الصبر والسلوان

القيروان في 26 مارس 1961

محمد الحليوي

يا ابانا ... نم هنيئا راضيا

بـقلم : **احمد خير الـدين**

ما لحر القول عنى غربا — مذ نعى الناعون (شيخ الادبا) !
صوحت هوج الاسى روض النهى — وعروس الشعر ضجت للنبا
واستحالت جنة الانس الى — مأتم ناحت به زهر الظبا
زعزع نكباء ثارت بالحمى — تنشر الذعر وتذكى اللهبا
كان بيت (الشيخ) اجدى منتدى — لبنى تونس او للغربا
كان للنشء صديقا وابا — كل من وافاه نال الاربا
كم معان كالغوانى حجبت — فازاح الشيخ عنها الحجبا
يرتوى الضامى من منهله — ادبا جما وظرفا عجبا
لكن الدهر ــ وان طال المدى .. — يسترد اليوم ما قد وهبا
مات جيل كامل لما قضى — ذا الاديب « العربى » المجتبى
اى نور قد خبا من بعد ما — ابهر الشرق وعم المغربا
عاش فى دنياه شهما وبدا — فى سماء الآداب طرا كوكبا
واذا ما سامه الدهر اذى — اعلن البشر واخفى الغضبا
انا ان قصرت فى حق الولا ، — فجواد الشعر بى اليوم كبا
قال قبلى « حافظ » معتذرا : — « لا تلم كفى اذاء السيف نبا ٠!)
يا أبانا ٠ ٠ ٠ نم هنيئا راضيا — بعد ان اديت فرضا وجبا
فى حمى رب كريم راحم — عفوه عن عبده لن ينضبا ٠ !

احمد خير الدين

اثر ... لن يزول

بقلم : ناجية ثامر

وجه بشوش تشع الابتسامة فيه ، فتشدك لصاحبه شدا ، وتجعلك تشعر بالطيبة التى يتحلى بها ، وبالاخلاص الذى يعمر فؤاده ، وبالعطف الذى يملا شغاف قلبه ، فيفيض بما فيه كالينبوع المتدفق ، ويجود بمائه الصافى على كل محبيه وعارفيه . . .

ليس العلم وحده ، الذى يتصف به ، هو الذى يجعلك تميل اليه كل هذا الميل ، بل لما يمتاز به هذا العلم من رفعة وسمو وكرم اخلاق قل ان تجتمع كلها فى فرد واحد ...

لكم جلست بين يديه ، ومتعت اذنى بحسن حديثه ، وبصرى بالطيبة المشعة من ابتسامته ، وشعاع الذكاء المنبثق من ناظريه . . . .

وحين كان يقول لى يا ابنتى ، كانت ترن فى اذنى ، كلمة صادقة عطوفا تجعلنى اشعر بمتانة الرابطة الروحية التى تربطنى اليه . . .

كان راوية من اعظم الرواة ، لا فى تونس فحسب بل فى العالم العربى كله ، وله ذاكرة نادرة تسجل ما يطالعه وتصبه فى ذهنه ، لينبثق منـه بعـد حين طويل او قصير ، وقد اقتبس الكثير من الطرافة وتحلى بها كان يسبغه عليه من ذكاء روحه وصفاء فكره ...

فلقد كان الادب العربى بالنسبة اليه بحرا زاخرا يشقه بمركبه ، ويتجول فى طوله وعرضه ، ويجعل جليسه يشاركه فى جولاته الادبية الممتعة . . .

كان الادب للاديب الكبير حدائق ناضرة ، فواحة بالورود والازاهير ، فكان ينتقى ورده من كل حديقة ليؤلف منها باقة ليهديها لجليسه بكل كرم وجود ... ويخرج الجليس من عنده واريج الباقة يفـوح فى صدره ، وفى ذهنـه تتراءى الانعكاسات التى انتقلت من فكره الى فكرة . . . وكان طيبة القلب نبع فياض ينبع فى الفؤاد ، ويتراءى لمعانه فى العيون فتبدو كالمرآة الصافية التى تعكس ما يختلج فى القلوب من حنان وصفاء ولطف مشبع بالاخلاص والصدق . . .

كان الفقيد العزيز يتحدث عن جميع الادباء والشعراء فى القديم والحديث ، ويروى اشعارهم واخبارهم ، بلسان عذب ، وتعـاليق لطيفة تـدل على نفسه الكريمة الظريفة . . .

وكل من عرف شيخ الادباء واتصل به ، واطلع على مدى معارفـه وعلومـه وآدابه السامية ، يحس فى كل قلبه بالخسارة الفادحة ، وبالفراغ الكبير الذى خلفه الفقيد النابغ فى عالم الادب العربى . . .

كان مكرسا كل دقيقة وكل ثانية من ثواني حياته للادب ، وكان بينه وبين قلبه انسجة تجعله لا يتحرك الا لحب الادب وخدمته . . .

وكان ينوه في احاديثه عن اصله الاندلسي وانه لخير خلف لافضل سلف ، ممن خدموا العلم والادب ، وانه للجدول الرقراق الذي كان يجرى دائما ليصب مـاءه العذب في محيط الادب الواسع الاطراف الذي يشمل كل شيء ويسع كل شيء . . .

لقد توقف الجدول عن الجريان الآن ، بكل اسف ، ولكن ذكرى الشيخ الكبير والاديب النابغ ، والشاعر المجيد ، والراوية العبقري ستبقى دائما محفورة في الافئدة والصدور . . . لان الماء اذا توقف عن السير ، فمكان الجدول لا يزول ، انه هنا دائما وابدا للدلالة على ما كان يفيض منه من علم وادب بكرم عظيم لا يدانيه كرم . . .

فرحمة لأبينا الروحي شاملة .. نطلبها من كل قلوبنا وعواطفنا ، ونرجوها عظيمة جلي ، بقدر ما يغمر من محبة خالصة وتقدير كبير لذكراه الغالية التي ستبقى خالدة في اذهاننا ، ما دامت هذه القلوب تنبض في صدورنا . . .
انه ، لم يمت ، ولن يموت وهذا الجـدول الرقراق ، قـد حفر مكـانه في الارض وفي اضلاعنا ، ليخلد مدى الاجيال والعصور ! . . . .

ناجية ثامر

عش مع الخالدين ... يا شيخ .. وانعم

بقلم : مفدى زكريا

دع مفدى ـهنا ـ يناجى المفدى   علـه بيننـا فيسطيع ردا
وارث فى « الراشدية » اليوم شهما   طالما كان يلهم الفن رشدا
واسأل الشيخ ٠٠ هل رآى الشيخ   فى اللحد كتابا ٠؟ فراح يسكن لحدا
ام رآى شاعرا يـذكـره الوعـد   فـلبى وراح ينجـز وعـدا
ام رأى الشعـر بـات سخفا ولغوا   والاديـب الاريـب اصبـح قـردا
فمضى يشتكى من القوم للفصـــحى ، ويدعـو الجدود تجعـل حـدا
ورآى ارضنـا تضيـق عـلى الحـر   وان الـرحيـل اولى واجـدى
فتسامى ٠٠٠ يغرى السماء على الار   ض ٠٠٠ ويختار فى الكواكب خلدا
ايهـا الشيخ ٠٠٠ ان سئمت جفانا   سوف نلقى ـ هناك ـ يا شيخ جندا
انت يا شيخ ٠٠٠ والثمانون تفنى   لم تـزل للبقـاء تبـذل جـهـدا
وحليف الفراش ٠ يا شيخ ابليت الليـالى الطوال حفظا وسردا
انت علمتنا ٠٠٠ وقد كنت تسعى   كيف نقضى الحيـاة سعيـا وكـدا
ولكـم كنت مـن تـراث عـلانـا   فى عقول الشبـاب تصنع مجـدا
ولكـم كنت تلهـم الفكـر روحـا   كلمـا حـاول الضفـادع وأدا
وتعـد النشء الجـديـد ليبنـى   فى غـد صرح عـزه ٠٠ فاستعدا
تنشر النـور والجمـال وتحيـى   ميـت الحس فـى عقـول تـردى
لم تـزل كادحـا تجـدد مـا قد   هده الشامتون ـ فى الدار ـ هـدا
وتغـذى الفـن الصحيـح بشعـر   لحنـه انطـق الهـزار فـادى
يا كبادى ٠٠٠ لو استطعنا جعلنـا   ذوب اكبادنـا ٠٠ امـامـك سدا
ولـو ان الخيـار مـلـك يـدينـا   لافتدينـاك يـوم ازمعت صـدا
ولـو ان الـذى استردك للقـدس   ٠٠ رثى لابتهالنا ٠٠ ما استـردا
عش مع الخالدين يا شيخ ٠٠ وانعم   بحيـاة الرضى ٠٠ عـزيزا مفدى

مفدى زكريا

من مجـــــالس الشيخ الكبـــــادي

بقلم : **البشير العريبي**

حكى شيخ الادباء فقيدنا الشيخ محمد العربي الكبادي رحمة الله عليه انه ساهم مرة في لجنة اصلاح الموضوع الادبي لامتحان « الباكالوريـا » ومحـوره كلمة لاتينية وجدت مكتوبة على (ساعة) وتعريبها :

« كلهن جوارح ، والاخيرة قاتلة »

قال الشيخ تغمده الله برحمته وما ان وقفت على هذه الكلمة حتى عقدته في قولي :

الدهـر يلعب بالانـام كمـا يشا
والنفس عـن درك الحقيقـة غـافلـة

وجميع ساعـات الزمـان جـوارح
تصمى فتـدمي ، والاخيـرة قـاتله

سادتي سيداتي

كنت ازمعت ان اروى اليكم هذا الخبر واكتفى به ، من جهة لاني لم اقدمه في الوقت المناسب فيدرج في برنامج حفل الاربعين ، ومن جهة اخرى لانـه كبر على ان افلت هذه المناسبة التي هي انسب ما يروى فيه هـذا الخبر ، لانه الحفل الذي تذكر فيه خصال الشيخ وآراؤه في الحياة وفي الموت ايضا ، وهذا الخبر يشير الى راى من آرائه فيما بين الحياة والموت ،او قل في تدرج الموت الى الاحياء ، حتى تطويهم كما طوى الفقيد .

كنت يا مستمعي الاكارم ازمعت الاقتصار على رواية الخبر لولا ان الرغبة قد الحت عـلى في ان اكسو مشاركتي صبغة اعمق فامدتني كناشتي بتشطير لبيتي الشيخ السابقين استسمح حضراتكم في تلاوته :

(الدهر يلعب بالانـام كمـا يشا)
فاجهـد لنفسك ان تكـون العـاقلة
تـرد البـلايـا والمنـايـا خلسـة
(والنفس عـن درك الحقيقة غـافلة)
(وجميع ساعات الزمان جـوارح)
تستنـــزف الآجـال منـا معجلـة
هي مـرسلات بالفنـاء ، فـلا تنـى
(تصمى فتدمي ، والاخيرة قـاتلة)

البشيـر العريبي

محمد المرزوقي يرثي الفقيد بالشعر الملحون

على شيخنا دمعي نزل صبايب   لكن دموعي ما ترد مصايب

«00»

1......... بكيت بغصة   والحزن ما بين الجواجي رصى
غرقت سفينتنا قريب المرسى   ورحنا يتامى مشتتين ذهايب
والموت ما خلاش لينا فرصة   كل يوم رافعنا شباب وشايب

«00»

2............. بكيت بحرقه   حسيتها ما حر نار الفرقة
لا بقى نادي يجتمع لا حلقه   عليها الحبايب واردين جلايب
واليوم يا لخوان عز الملقى   بعد راح فارسنا علينا غايب

«00»

3...........غاب سيدى العربي   خلف الغصة ما ليتلي قلبي
نحساب روحي على البلا متربي   نصبر على صرف الزمان الخايب
لكن فراق الشيخ هيج كربي   من الحزن شعل في الكنين لهايب

«00»

4............. غاب علينا   هوى صرحنا وتعطلوا نوادينا
الشعر يندب والقلوب حزينة   والدمع ع الخدين هامل سايب
والله بعد الشيخ ما يسلينا   لافرح حافل لاطرب وعجايب

«00»

5...........لافرح لا شهرة   لاواد جاري بين زهر وخضرة
(ام الحسن) بكات فوق السجرة   تندب نوادي عاطلات خرايب
كل حد عندوا في الجوانح حسرة   مصهود عقله للهموم نهايب

«00»

6........... نعزيك جمعيتنا   في الشيخ بعده تفرقت حزمتنا
كل يوم يمشي فرد من لجنتنا   زادم علينا الموت ما هو هايب
يا رب صبرنا على محتتنا   قعدنا بقايا في البلاد غرايب

«00»

7.........الله يرحمك يا بابا   الله يرحمك يا روح روح احبابه
رحمات مثل الغيث عام الصابه   اشابيب هطلت من دفوق سحايب
تسقي عظامك والقبر وترابه   وترويك من رحمة الله رбايب

محمد المرزوقي

معلوماتي عن شيخ الادباء المرحوم

محمد العربى الكبادى

اعتقد ان الحفلة الاربعينية التابينية لفقيد الادب والادباء ستعطى الموضوع حقه من الاطناب في مناقب هذا الرجل الفذ وآثاره الخالدة طول حياته العامرة بالادب قديمه وحديثه ولذلك ساطرق ناحية واحدة قد تمتاز عن النواحي التي طرقها الشعراء والخطباء اعني معلوماتي الخاصة عن هذا الركن المنعدم الذى لا يعوض في العصر الحاضر لان شخصيته قد لا يجود الزمان بمثلها وناهيك بها من شخصية جمعت ملكات الشعر والادب والحفظ لا شعار المتقدمين والمتأخرين اذ كان الراوية الذى لا يمارى ولا يجارى مدة ثلاثة اجيال ماضية وهو عمر طويل قضى معظمه في تثقيف النخب التونسية (المرتوية من بحره العميق) المتلمذة عليه والتي تجتمع به سواء في دروسه العامة او الخاصة عند زيارته في محلات جلوسه بالمقاهي اولا ثم بمنزله عند كبره وعجزه عن الخروج لمقابلة اصدقائه بل تلامذته المرتوين من ينبوع نبوغه الفياض.

(قبل 55 سنة)

كنت ازاول التعليم بجامع الزيتونة الاعظم وشاهدت حلقة درســــه عامرة بالطلاب وكان وقتئذ محرزا على شهادة التطويع والذى لفت نظري وقتئذ كونه من الشيوخ القلائل الذين يعلمون بلغة عربية فصيحة دون النطق بكلمة واحدة من اللغة الدارجة فكنت اعجب شديد العجب من فصاحته التي كاد ان ينفرد بها لولا بعض الشيوخ المتكلمين بالعربية في دروسهم العليا امثال الشيخ محمد الخضر بن الحسين والشيخ محمد النخلي والشيخ محمد الطاهر بن عاشور وعلى كل حال فعددهم قليل جدا ومع ذلك فالشيخ الفقيد كـــان يـلقي دروسا ابتدائيـة ورغمـا عن كوني لم اكن من تلاميذه حينئذ الا انني كنت اتمنى ان اقرا عليه واتنعم بلغته ولهجته التي احبها حبا جما واستعملها في كتاباتي ونشرياتي مدة تزيد عن نصف قرن اى من ذلك العهد الى الآن.

الفقيد وتوظفه بجمعية الاوقاف

كان المرحوم محمد البشير صفر رئيس جمعية الاوقاف يختار موظفي

ادارته من البارعين في اللغة العربية من التلامذة الزيتونيين خصوصا المتخرجين من المدرسة الخلدونية ينبوع العلوم الرياضية (العصرية) في ذلك العهد فكان الفقيد في طليعة المعينين للقيام بوظيفة عليا في جمية الاوقاف ولا ابالغ ان قلت انه كان على راس المنظمين لادارتها والمسيرين لدواليبها وقد امتاز من بين الموظفين بالحرص على قضاء حوائج من تدعوهم مصالحهم الى القدوم للجمعية ولهذا ازدادت محبة الناس في شخصه المتشبع بمكارم الاخلاق من مجاملة ولطف وهذه الشيم تجمعت في طبعه وتفرقت في غيره.

دروسه الرسمية

كانت ادارة العلوم والمعارف عينته مدرسا للاداب العربية بمدرستها العليا التي كانت تؤهل تلامذتها الى الوظائف العليا لا فرق في ذلك بين التونسيين والفرنسيين المستشرقين والاجنبيين ولهذا السبب يعتبر الفقيد الاستاذ الاكبر لاجيال ثلاثة لاتمثل التونسيين فحسب بل معها اجناس اخرى قد انخرطت في سلك تلاميذه بين رجال ونساء وكلهم اوجلهم على اصح تعبير كانوا احباء له واصدقاء.

مجالسوه في مقهى باب منارة

كان غالبا يجلس في مقهى باب منارة عقب العشية واول الليل طلبا للراحة من عمله اليومي بالنهار ولكن ابناءه واحباءه يغتنمون هذه الفرصة او الفرص للاقاته والارتواء من منهله العذب الذى امتاز بالبساطة اذ كان لا يتكلف في تعابيره فما يخالج قلبه ينطق به لسانه كانه يناجي نفسه اذ يعتبر جلاسه من المحبين والمولعين بعباراته ولو كانت انتقادية ولاذعة في بعض الاحيان والمؤثرة على سامعيه من الحاضرين. وكانت تلك المجالس جامعة لا للأدب وحده بل للفكاهة والمداعبة كما كانت حافلة بالكثير من تلامذته الموظفين الساميين الذين من عادتهم ان لا يجلسوا بالمقاهي ولكن يأتون الى مقهاه للانتفاع بمواهبه الفطرية والكسبية واعجب من ذلك ان محبيه ياتون اليه قادمين من اقصى الجهات التونسية ومغتنمين فرصة حلولهم بالحاضرة كي يشاركوا في مجالسته بالمقهى ولا يقتصر هذا على ان القادمين من تلامذته بل حتى من اصدقائهم واقربائهم من النبهاء والادباء.

مجالسه بجنينة منزله

عندما اعياه الكبر والعجز الجسدى صار لايخرج من بيته الا لجنينة داره وذلك عشية وليلا خصوصا في فصل الصيف وعندئذ يأتيه الزائرون من ابنائه

جماعات ووحدانا عوضا عن مجالسته بالمقهى فكانت مجالس انس يندر ان ياتي الزمان بمثلها بين نسيم الاشجار وضوء الاقمار وكان لا يتخلف عن الخروج من غرفته كل يوم في الوقت المعتاد الا لمرض او لعذر شرعي واستمر على هذا المنوال ما يقرب من عامين.

مجالسه بغرفته

لما ازداد عجزه البدني استفحالا واستحال معه الخروج حتى من غرفته بل حتى النزول من فراشه فلازمه ليلا نهارا نائما او متيقظا بل ان صلاته كانت بالتيمم والايماء سواء كان قائما او راكعا او سجدا بيد انه لايترك الصلاة ولا يخلفها عن اوقاتها واستمر على ملازمة فراشه نحو العامين ايضا.

ءاخر ملاقاتي به

كنت اجتمع به في كثير من الاحيان لا سيما بالمقهى والجنينة والغرفة التي صادفتني هيئة الاذاعة فيها لتسجيل مسامراته الاذاعية وهو في فراشه ومرة شاركت في محادثاته وكان اخرها عن حياة الشاعر الشهير (المتنبي) وءاخر ملاقاتي به كانت قبل اسبوعين من وفاته اي في شهر شعبان الذي مات فيه.

حافظته وذاكرته

لاريب ان نبوغ الفقيد خارق للعادة اما شهرته فكانت طبيعية لان الرجل عمر الى ان تجاوز الثمانين سنة ولان محفوظاته من دواوين الشعراء ووقائع الادباء مع الملوك والامراء والسلاطين والعظماء ما زالت عالقة بذهنه ومحفوظة في قلبه وهو يتلوها في مناسباتها ويستشهد بابياتها وعباراتها حرفيا دون خلل بالفاظها ومعانيها بل بتوارخها المدققة مع العصور التي قيلت فيها سواء كان موضوعها الولاء او الهجاء ويعطيك في المجالس القصيرة معلومات كثيرة دونها التاريخ كما استحضرتها ذاكرته وحيويته التي يحملها قلبه ولايحملها جسده الآخذ في الانحلال من جراء الشيخوخة وهذه الخصال نعم من النعم التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده للانتفاع بها ومن فضل الله ان كان عدد المتنفعين من بحره الزاخر ليس بالقليل بل يشمل ادباء وعباقرة ولدوا في القرن الرابع عشر وساعدوا مساعدة تامة على النهوض بالشعب التونسي في عصره الحاضر بعد الماضي وفي عهدي الاحتلال والاستقلال. فعزاء لهذا الشعب في مصابه العظيم بوفاة هذا الاديب الكبير بل شيخ الادباء بلا منازع عليه رحمة الله ورضوانه.

الطيب بن عيسى

واجبى وقفة

بقلم : **الهادى نعمان**

واجبى وقفة لعلى اراكا فارى فيك سيدا وملاكا
وارى فيك عالما عبقريا واديبا يزجي القوافى حجاكا
شاعرا ملهما رقيقا دفوقا قد تسامى عن السخيف هواكا
وطنيا يابى المهانة والذ ل صريحا اذا دعاك حماك
كم انرت العقول ضمن دروس خلدتها بوارق من سناكا
نحن لن ننسى ما حبينا عهودا افننسى صحائفا من علاكا
كنت فينا النواة والثورة الاولى تشيد النفوس صفوا يداكا
كنت فينا كقائد وحكيم فى مجال الفصحى تحث خطاكا
فى مجال الآداب تمشى حثيثا تتخطى جهل الدجى الفتاكا
لتنير السبيل فى عالم العصر فان حقا مزودا ابناكا
برصيد من التراث مجيد تتحدى به الزمان قواكا
هو للشعب متعة وفخار وفخار التاريخ عبر سراكا
انت اسريت بالمعارف ليلا ونهارا ماكل يوما حجاكا
من رصيد القديم نبنى جديدا وكذا كنت حكمة فى بناكا
قد بنيت الاداب خير بناء فعلت فى بنيك شما ذراكا
وحفظت التراث حفظ امين مستجدا فكاهة تهواكا
كل من يعرف الفقيد يراه باسما مشرقا ينادى رضاكا
قد تمخضت للعلوم فكانت نعم مجد ما دان طوع سواكا
فتمخضت عن شباب طموح للمعالى محققا لرجاكا
ليت كل الورى اذا شاء يوما احد مقصدا يرى مبداكا
فى تفان للخير تمضى صبورا مخلص القلب للدجى سفاكا
مجدك العلم دافقا فليخلد ذكرك الفذ كوكبا فى سماكا
يا ابى كلما الابوة عقت لم تكن الا سيدا وملاكا

الهادى نعمان

الشيـخ العـربي الكبادي

في المجـامـع العـامـة التـونسيـة

بقلم : علي الجندوبي

تلبية لنداء منظمتنا المعهد الرشيدي ووفاء منا لبطل هو في مقدمة العاملين في ميداني الادب والفن نجتمع اليوم حول منبر كثيرا ما زانه راحلنا الكريم شيخ الادباء العربي الكبادي الذي هو احد اركان هذه المنظمة التونسية التي قامت اسسها على الوفاء للعاملين في الميدانين اللذين كتب لهما ان تتوالى مصائبهما بفقد رجال افذاذ تساقطت اغصانهم بعد ان اثمر غرسهم لفائدة الاشادة بمجد البلاد والعمل المتواصل للاحتفاظ بتراثنا وتقديمه للاجيال ولا شك ان الرجل الذي نحتفل بتأبينه قد اسدى كثيرا للمجتمع الفني والادبي وللشباب بصفة خاصة.

وآثار هذا العالم العامل فقيد المحافل الادبية تحتفظ بها الجرائد والمجلات وديوان شعره منتشرا فيها، هذا زيادة عن آلاف المحاضرات التي القاها بالاذاعة الوطنية ومنبرا الخلدونية وقدماء الصادقية وحلقات الدرس بمعهد الاداب العربية والجامعة الزيتونية.

ولا اتردد بهذه المناسبة في شكر عميد مؤسستنا الاستاذ مصطفى الكعاك واعضاده الذين كانوا نعم الخلف لخير سلف في المثابرة على العمل المتواصل والاحتفاظ بالامانة التي تعهدوا بها وكانوا المثال الاعلى في هذا الصدد مع الاحتفاظ بالمبادئ السامية لمعهدنا الذي يحق لتونس ان تفاخر به بين الامم والوفاء للمنتجين والعاملين وفي مقدمتهم شيخ الادباء المحتفل بذكراه في هذه اللحظات التاريخية.

ولا انسى دور الاذاعة الوطنية ووفائها للفقيد وكذلك الصحافة التونسية عربية وفرنسية وكل من اذاعة لندن واميركا وباريس والمغرب الاقصى ما دام فقيدنا هو ملك للمجتمع الادبي العالمي وهو الذي شرف الادب واعترف الجميع بفضله ونبوغه ودرايته وتبحره واخلاصه وانقطاعه للاداب التي كان امامها ونبراسها في ربوع الخضراء وسجلت له اجمل المآثر والمناقب الخالدة.

لم تنته الاوساط والمحافل الادبية من حزنها على الفقيد نابغة الادب المرحوم محمد بيرم التونسي . حتى تصاب بحدث جلل وهو فقدها لركن من اركان الادب العربي المرحوم الشيخ العربي الكبادي.

اني لا اخفي عليكم اني لست من الرجال الذين يحق لهم الوقوف في مثل هذه المواقف الحرجة امام روح همام فقدته المجامع العلمية والادبية والفنية، وهو في نظري لايقل اهمية ودراية ومكانة عن امثال شكيب ارسلان وجميل صدقي الزهاوي والرصافي وابي تمام والبحتري والخضر بن الحسين وعبد الحميد بن باديس ومحمود قبادو والشاذلي خزندار ومصطفى اغـه.

ولكن احساسي ووفائي للراحل هما اللذان يدفعاني لاكون ضمن نخبة المؤبنين الاوفياء للفقيد العظيم والعزيز علينا جميعا وهو الذي خسره العالم العربي لاتونس فقط.

ما دام هذا الفذ من انصار رجال العروة الوثقى ومن نوابغ الاصلاح والارشاد والتوجيه المثمر وله افضال على امثالي وتعريفهم بمناقب اولائك النوابغ الذين عددناهم للذكرى والتاريخ.

واني لاقف خاشعا امام روح رجل طاهر وعالم فذ انتفع به طيلة حياته ، وكان والدا روحيا لعموم الادباء والكتاب والفنانات والفنانين عمل باخلاص ضمن اعضاء منظمتنا التونسية التي بعد الفقيد ركنا من اركانها عمل بجد واجتهاد سواء في عهد واضع الحجر الاساسي له او مع خلفه فطالما تفانى في العمل لوضع الاسس وانهمك في تلك الملفات لتهذيب تراثنا المناط بعهد اللجنة الادبية التي كان رئيسها ونبراسها لما يبديه من دقيق الملاحظات والنصائح في مرح وسرور كلما دعى لهذا العمل طيلة سنوات لم ينقطع فيها الى ان اقعده المرض ولازم الفراش ولم يعرف عن الفقيد انه كان يوما غاضبا واذا صدرت عنه ملاحظة فهي بالعربية الفصحى وبالاشارة ما دام رحمه الله كان مثال الاخلاق الفاضلة والحكمة النادرة فالفقيد يعد مصدرا ومرجعا فقهيا وادبيا وعلميا وتاريخيا وهو الذي يرجع له الفضل في تعريب لسان الشباب وكان همه الوحيد مصارعة العجمي في لين وحكمة وتلقين الاوساط اصول العربية وآدابها وهو العالم الاديب الذي لم يستنكف على الجلوس في المقاهي العامة التي جعل منها نوادى لعدم مساعدة الحظ له ليكون بين عرصات الجامع لتجاهل مقامه العلمي والادبي سوى بعض ايام نعت فيها بمدرس للاداب في زمن قصير جدا يرجع فيها الفضل لذويه. وقد كانت نواديه الشعبية يؤمها الشباب فيهش لهم ولا يخاطبهم الا بالعربية الفصحى التي كانت ديدانه وكان

امـامها بلا خلاف وحصنهـا الحصين ،وهو يعد اداة تعريف بين ماضي الاد ب وحـاض ه ومصدر التوجيـه المثمر لرجال يشار لهم بالبنان من نبغـاء الادب ورجـال القلـم.

فهو العالم العامل بعمله في حياتـه كلهـا التي وهب نفسه فيهـا لله من عهد بعيد متصديا لتدريس العامة والخاصة بدون مقـابل وكـان همـه الوحيد نشر المعرفـة والعربيـة على قارعة الطريق بين الغادي والرائح.

ومـا زلت اتذكر امثـال العـالم الفرنسي وليـام مرسى اراه جالسـا امـامه كتلميذ وكـان همـه رحمه الله اصلاح لسـان هذا المستشرق بوسـائل لطيفـة وهي اعـادة الجملـة مرات في تؤدة وباتزان وهذا من اهم مميزاتـه وصفـاتـه النادرة التي لم يشاركـه فيها معاصروه.

وقد امتاز بتنزيل الايات القرآنيـة والاحـاديث والاستشهـاد بهمامع النصوص الادبيـة وقد ختم كتاب الاغـاني مرات حتى اصبح يلقب بلسان العرب في بلادنا.

وكـان الفقيد يزدرى بالالقاب ولا يهمـه في الحياة الا ازدهـار الادب والفن والعربية، وله فضل على اجيال من الشباب الجزائرى والليبي والمغربى والتونسي وكان من انصار الحق والفكر الحر والفقيد الطاهر من دعـاة الفضيلة والوحدة العربية الاسلاميـة وهو من افذاذ التحقيق العلمي والدرايـة الاجتماعيـة والتخصص في الادب، وكان رحمه الله يجمع بين الدين والدنيا ولايحرم نفسه ولايخفي آراءه النيرة. فهو شـاعر راويـة ومحدث ومفسر مع قوة استحضار نادر المثال الى النفس الاخير من حياته منكبـا على المطالعـة ولـه مركز في المجامع الادبية العالميـة. ولازلت اتذكر لمـا زرتـه قبل وفـاته بشهر كان يسألني باهتمام عن احوال المعهد الرشيدى وابنائه وبنـاتـه لانـه كان لا يفرق بين المراة والرجل في ميدان المعرفة والادب والفن . وكـان يبتسم قائلا اني يـا بني ارجوا من الله ان يسهل على لقاءه لاني اصبحت لا ينتفع بي ولا انتفع بنفسي وقد اديت واجبي، وارجوكم ان تحافظوا على المعهد لانـه تكلف علينـا غاليـا ولتسيروا بـه الى الامـام واخلصوا له كمـا اخلصنـا له، رحم الله الفقيـد واسكنه فراديس الجنـان ورزقنـا نحن جميـل الصبر والسلوان.

علي الجندوبي

في المعهد الرشيدى

اول قطعة للشاعر منور صمادح يوم ذكرى الكبادى

هنا (الفن) والشعر ممتزجان كما امتزجت بالحروف المعانى
هنا عابقات القوافى يوز ع اشذاءهن نسيم الاغانى
يهب على كل ذهن فيبقى به نشوة من رنين المثانى
هنا ابحر الشعر ذات اصطخاب تشف عن الدر فى كل آن
وفى كل بحر غرام غريق الى مجمع النغمات الحسان
فهذا « الخفيف » اكتوى « بالنوى » وهذا « المديد » من « الرستِ » دان
وبات « الطويل » يغازل « سيكا » « فعولن » يراودها فى حنان
وغارمه فى هواها « بسيط » « محيرها » العشق والعاشقان
غدا « المتقارب » صبا شجيا بحب « الصبا » من جفاها يعانى
و « للكامل » الشهم أنس اذا ما رأت عينه طلعة « الأصبهان »
و « للأصبعين » ازورار ودل اذا التمس « الرمل » المتفيانى

◆ ◆ ◆

هنا أيكة الشعر والفن ثملى تضوع بالسحر والافتنان
فكم منشدات بها ساحرات وكم عازف « معبدى » البنان
وفيها « الزرياب » آهات ناى يسكت داود لوعاد ثانى

◆ ◆ ◆

هنا المنتدى الادبى المعلى دعانى لتخليده ما دعانى
مجاليه تزخر مستدرجات يؤثرن فى السمع واللحظان
اذا زرته خلتنى جالسا الى ابن رشيق وحذو ابن هانى
ولكن اذا فاض بالسحر فوه الكبادى ارانى مع الاصفهانى

منور صمادح

نجم هـــوى

ثانى قصيد للشاعر منور صمادح فى ذكرى الكبادى

عقول من الفجر تقتبس — واخرى يداهمها الغلس
وافئدة افعمت باليقين — وفى غيرها الشك والهوس
وايد مكرمة صفدتها — اياد يلوثها الدنس
ذئاب ولكن عليها ثياب — تخال اناسا وتفترس !
فلا هى تشبع او ترتوى — ولا القوم من شرها احترسوا

***

كذلك الفيت هذى الحياة — وعلمنى الزمن الشرس
ولكن قلبك عف الهوى — بحبك للخير ينبجس
وسيان عندك كل الورى — فخصمك بالخدن يلتبس
اذا غضبوا كنت منبع الرضا — وكنت البشوش اذا عبسوا
شمائل غر سمت ادبا — ووجه يسر له التعس
بيان عن العى ممتنع — يحدث اخبار قوم نسوا
وفن من القول مستلطف — ومستظرف ابدا سلس
باضرابه الناس ما سمعوا — وما عرفوه وما نبسوا
شياطين عبقر اوحت به — ومن سرها كان يختلس

***

كانى به الآن خلف الدنا — ومن حوله الظرفا جلسوا
يحدث عنا الالى ذهبوا — ويسهب فى الوصف ما انسوا
ويروى من القصص الرائعات — كما كان فينا ، ويلتمس
هنيئا لاهل الخلود به — وصبرا لمن ههنا يئسوا

منور صمادح

عيـــــون

اتقدم الى هذه الحفلة الواقعة بدار المعهد الرشيدى حفلة التابين الاربعينية للمغفور له عميد الادباء محمد العربى الكبادى بشىء من آثاره لم يسبق نشره فاقول يوجد بكناش المرحوم الشيخ محمد بن يوسف ما صورته

وكتب الى بعض النبلاء عند ما زارنى مرتين ووقعت فى المرة الثانية المحاورة فى اطلاق لفظ البرهة على الزمن القليل وانكر ذلك قائلا انها بمعنى الزمن الطويل كما انكر التشديد فى قولهم حساب الجمل بما نصه :

يا عربى اللفظ والتبيان   وبابلى السحر للاذهان
عودتنى من بركم بزيارة   عند المساء يا اخا الاحسان
نقضى بها حق التوادد برهة   لقصرها وحق رفيع الشان
لا غرو ان صارت لفضلك عادة   ولاصلها فى مذهبى ثنتان
وعادة السادة سادة العلوا   ثـد فى بنى الانسان والازمان
والان منذ ثلاثة اوحشتنا   والحزن ارجو دون ما هجران
لازلت مودود اللقاء محببا   تعلو على الانداد والاقران

وقولى يا عربى تصريح باسمه الخاص فاجابنى بقوله

كذا فليكن صوغ القريض ونظمه   ليقرب من ذهن المطالع فهمه
ولا معنى للاغراب فى الشعر انما   يروق فتى فى الشعر قد طاش سهمه
اتتنى من شيخى عقيلة فكره   ارتنى شعرا لاح فى الافق جملة
وسرحت طرفى برهه فى رياضه   فعاينت شعرا لم يكن ثم كمه
قريب من الاذهان حتى يظنه   اخو الجهل من مقدوره وهو زعمه
اليك التحدى يا محمد بالذى   تصوغ من القول الذى رق نظمه

الجلم محركه من معانيه القمر او الهلال فتسكينه فى البيت من ضرائر الشعر

امولاى كم طوقت جيدى منه   وافهمتنى فى العلم ما عز فهمه
وفى برهة قد نلت منك هداية   وغيركم فيها لقد ضل وهمه
وفى جمل اجملت وهو مشدد   وقد قيل بالتخفيف فيه فحطمه
ينازع فيه الباحثون على هدى   ومثلك لا يأبى الحقائق علمه
وخذ مدحه من قاصر ومقصر   يود اليك الخير فيما تؤمه
وبعد غد ياتى لكم متشرفا   بمجلسك الاسمى الذى طم يمه
بقيت بقاء الدهر يخدمك العلا   وطالعكم فى مطلع السعد نجمه

انتهى ما بالكنش

هذه القصيدة التي حبرها المرحوم شيخ الادباء من الشعر العالى الطبقة اذ هى محكمة المبنى رائقة اللفظ والمعنى يستقر وضاها فى الاذهان قبل استقرار لفظها فى الآذان

فلا غرو ان لا يستكثرها الكثير من الثنـاء ولا يضيق مكانهـا فى الشرف والنبل عن سعة الاطراء

وقد رسمنا للحديث عنهـا ايضاحات غير ان سلـوك المنهج التحليلى فيها لا يسمح به المقام الان فنحن نجتزى بذكرها اجمالا وربما استغنى بالاجمال عن التفصيل وتلك الايضاحات المجملة هى ما يلى اذكر منهجين فى تفسير الشعر منهج ابى الخطاب الاخفش ومنهج غيره واختبار احد المنهجين لمناسبته للحال

1) حسن مطلعها وبيان التشبيه الرائع فيه

2) ما تنطوى عليه القصيدة من المناهج النقدية

3) ربط البيت السابق بالبيت الذى يليه المسمى عندهم بالتضمين وذلك فى قوله فحطمه ينازع فيه الباحثون على هدى والرأى المتحرر فيه

4) جودة مقطعها فان البلغـاء يعنون بان ينتهى كـلامهم واللفظ الحسن الرشيق ومن المقاطع الجيدة قول الشاعر

لقـــد محضـــت لكـم ودى بـلا دخـــل
فاستيقظـوا ان خيـر العلـم مـا نفعـا

فقطعها على حكمة عظيمة الموقع والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الرحمان بن يوسف

ايهـا الشيـخ الاديب . . .

بـقلم : على بن عبد السلام

ايهـا الشيـخ الاديب مـن لـنـا   بعـدكـم يـدعى بشيـخ الادبـا
لـقـبـوك الادبـا بشيخـهـم   صـدقـوا والله فـيـكـم لـقـبـا
لـقـب شـرفـك الله بـه   وبـكـم شـرف لـقـب الادبـا
لقب قـد زدتـه قـدرا كمـا   زنـتـه بـين الانـام نسـبـا
فارتفعتـم فـى الاداب رتبة   قصـرت عنـد الفحـول رتـبـا
ذهـبَ الشيـخ الاديـب الالمعـى   فى مطاوى الـذاهبـين واختـبـا
كـان نـبـراسا ونجمـا ساطعـا   فى سمـا الخضراء يعلـو الشهبا
كـان بحـرا فـى الاداب طـاميـا   لا يكـف الفيض مـنـه عبـبّـا
كـان فحـلا وجـوادا سـابـقـا   كـل مـن جـاراه فـيـه خبـبـا
كان قـوالا وحفـاظـا لمـا   رق سمعـا واستطـاب مشـربـا
فغـدا فـى قـعـر لحـد صامـتـا   لا يجيـب مـن اتـى مستجـوبـا
مـا اشـد المـوت عـنـا وطـأة   واشق مـانـعـاه مـن نـبـا
وقـعـه قـاس شديـد مـؤلـم   للقـلـوب ومثيـر لهـبـا
كلمـا اشتـد المصاب لـوعـة   زاد وقعـا فى النفـوس مـرعبـا
كلما رمـنـا اصطبـارا شافـيـا   الا والصبـر تعـاصـى وابـى
كيـف للصبـر سبيـل والاديـ   ـب الالمعى السامـى عنا ذهبـا
نكبـت تـونس فـى فـذ لهـا   كان فيهـا لامعـا بـل كـوكـبـا
طـالمـا احيـا الليـالى سمـرا   بـنـفـيس مـن لـئـالى الادبـا
وكـنـذاك طـالمـا الـقـى عـلى   سامـعـيـه مـنـه درا معجـبـا
وفـى كـل غـرض منـه اتـى   ببديـع السحـر مـا قـد اسهبـا
ان للشيـخ الكبـادى شهـرة   عم فيهـا الذكـر شرقـا مغربـا
فهـو حـى الـذكـر فـى آدابـه   مهمـا طـال فى الفـنـاء احقـبـا
لم يمت مـن كـان حيـا ذكـره   رغـم مـوت غـالـه فـاحتجـبـا
كـل شـىء هـين فـقـدانـه   الا بعـد الشيخ عـنـا صعـبـا
قـد صبرنـا مـدة عنكـم فـقـم   للنـدامى والـق شعـرا اعـذبـا

مثل مـا عـودتـنـا فى سالـف ودفقـت منـه عنـا صيبـا
مـا لنـا مـن يشفى غـلا مثلكم او يـزيل عـن غطـاه السحـبـا
صرنـا بعـد انسكم يـا سيـدى كـالـيـتامـى عنكـم والغـربـا
لا دلـيـل عـنـكـم يـرشـدنـا الا مـا حـررتـمـوه كتـبـا
ايـن مثـلى ان يكـون راثـيـا للكبـادي والجـواد قـد كـبـا
غيـر انـى اضـرب سهمـا كمـا كـان غيـرى بالـرثـاء طـاربـا
واخـوض مـا استطعت جـانبـا علـنـى اقـضـى عـلى واجـبـا
رحمـة الله على استـاذنـا العـ ـربى الكبـادى شيـخ الادبـا

علي بـن عبـد السلام

فى اعـدادنـا القادمـة

- الشعر واعلان الاستقلال بقلم محمد الحليوى
- اللغـة والاسلـوب فى شعر الجـواهرى بـقلم الدكتور ابراهيم السامرائى
- البطلة (مسرحية) بقلم فرج الشاذلى
- نهضة القصة فى تونس بقلم ابو الوليد
- الطوفان (مسرحية) بقلم المختار سليمان
- ايتها الانوار بقلم مصطفى الحبيب بحرى
- على شفير الصمت بقلم الدكتور على شلق
- الحروف العشرة بقلم جعفر ماجد
- آريان بقلم جعفر ماجد
- الادب الشعبى وادباؤه بقلم الهادى العامرى
- لوعة الذكرى بقلم سعد الغزال
- وحدتنا بقلم البشير المجدوب
- اللغز الظامىء بقلم نورالدين صمود
- حكاية حبنا بقلم نورالدين صمود

وتركتنا في وحشـــــــــة ...

بـقلم : **عثمان بن منصور**

قـد الجـوانـح بالـزفير   واسف فقـد نـام المشير
وتـولى ذاك الالمعـى   م   الفـاضل العلـم الكبـيـر
مـن للابـانـة بعـده   ان سامنا الـراى الفطير
رجـل البلاغة والفصـاحة   م   بـل لهـا نعـم النصيـر
مهما تعاصى الفهم يومـا   خلتـه البـدر المنيـر
لاقى الـكوارث صابـرا   واجتـاز مكلوم الضميـر
اعظـم بنكبـة تـونس   فى عصرنـا الوقت العسير
غـاض الخضـم كـانـه   ما كان ركـن المستجيـر
يلـقـى الجـواهـر فـى   م   نوادينـا على الجـم الغفيـر
ويفيدنـا محض الهـدى   والـرشد والعلم الغـزير
فارقت يا عـربى فابكيت   م   النـواظـر والضمـيـر
وتـركتنـا فى وحشـة   يـا ايهـا البحـر الخبير
يـاذا الركـون لغفلـة   مستـوثقـا دار الغـرور
او ما سمعت بموت من   قـد صار مصباح القبـور
من بعد ما كان الكبـادى   م   غـرة وبـه السـرور
شـق الفـراق لعـلنـا   نلقـاه فى يـوم النشور
قـوى الكـريم قلـوبنـا   ووقانا مـن تلك الشرور
وعـفـا ووارى عيـبنـا   واحلـنـا دار الحـبـور
يـا صاحبى بـل يـا اخى   فى الله كم سقت النمير
وجعلـت مجلسـك المنـى   يغشى المجـالس بـالعبيـر
هيـهـات ان نعتـاضـه   حتى يسيـر بنا البعيـر
يـا ايهـا الخـل الـوفى   م   تـركت خلـك فى سعيـر
لم يـوف حقـك شعـره   فاعذر اخا البـاع القصير
آمـالنـا فـى الله ان   نلقى الكرامـة والبـرور
فعليـك مـن رحمـاتـه   ورضائـه المطـر الوفيـر
يـا ايهـا المـوت المهـدد   م   بـالنـوى وعليـك سور

احرقت اكباد الورى ... من بدء هاتيك العصور
كم والد نافسته ... فارتاع فى نوم الغرور
وبنية فقدت ابا ... كان المساعد والنصير
واخ له عضد بتوامه م ... فامسى فى الحفير
وحليف ود فارق م ... الاخوان ابان السرور
ولكم وكم فوقت ما ... يلقى المفارق فى المرير
يا من بذا اوحشتنا ... سق ما تشاء من الشرور
لكن ستبلى بالذى ... اوقعته يوم النفير
لا تامن الايام فالخلاق م ... يقصف من يجور
يا موت عفوا عن هجاء م ... قد ركبت اليوم جور
ما فيك الا رحمة ... غلطوا فسموك المغير
تنجى النفوس من الاذى ... وتفك اغلال الاسير
فلعلنا ننجو بما ... نرجو من الرب الغفور
سبحان مالك امرنا ... جل المهيمن فى الامور
لولا نزولك عافنا م ... الاهلون يا سيف القدير
ولطال سجن نفوسنا ... فى مثل سرداب يسير
فالموت راحتنا وقد ... يعلو الحقير على السرير
فيما اراد الله مدرار ... من الخير الكثير

عثمان بن منصور

طود ثوى . . .

بقلم : علي ابن ابي الضياف

طود ثوى فازاح عنا عقولا ... وهوى فزنزل اجبلا وسهولا
اليوم حق لنا النديب لاجله ... فالشعر صار منكسا وهزيلا
وتنكست اقلام اعلام الهدى ... وغدايبث القلب منه عويلا
يا شعر قم وابك الاديب وناد من ... قد هذب الاجيال والمنقولا
ان خط يوما ما يجيش بخاطر ... تلفيه يطرب غادة ونبيلا
لا ننسى ما عشنا ولن ننسى الذى ... زان المحافل فى الدنا وعقولا
فمجالس الادباء تبكى شيخها ... منذ غدا نجم « الكبادى » ضئيلا
« فمحمد العربى » الذى ابقى لنا ... ذكرا يصيره القريض نزيلا
مذ غاب عنا والعروض مناديا ... من منكمو يروى لنا المنقولا
لو رمت يوما ان اؤبن غيره ... استعصى القريض وكان عنى ثقيلا
اما وقد فقد « الكبادى » المجتبى ... لبى برغم انوفنا عزريلا
اجهدت نفسى ان اؤبن جهبذا ... فسمعت صوتا كان عنى دخيلا
واذا القريض يصيح انى مؤبن ... من كان عنى فى الحياة رسولا
يعنى به الفذ الذى سبق الالى ... وغدا يجارى (البحترى) و (جميلا)
فالشعر يبكى ناظما ومحدثا ... فى كل ارض حل فيها نزيلا
نم ايها الشيخ الوقور مبجلا ... يكرمك ربى بكرة واصيلا
لو كنا مختارين يوم نزولكم ... للقبر لاخترنا عليك بديلا
وبقيت انت تربى جيلا كاملا ... تسديه ذخرا للبلاد جليلا
فاهنأ فعرشك فى القلوب مخلد ... تلقى به التقدير والتبجيلا
فالله يرزقنا العزاء لفقدكم ... ما ابقى ربى للحياة سبيلا

علي ابن ابي الضياف

الشيـخ العربي الكبادي كـما عرفته

بقلم : تلميذه محمد الصادق بسيس

ايها السادة : السلام عليكم ورحمة الله ،

لا يعرف الفضل من الناس الا ذووه ويكفى اعضاء مجلس المعهد الرشيدى فضلا انهم فكروا فى اقامة هذه الذكرى الاربعينية لشيخنا الكبادى نور الله ضريحه وفـاء منهم جميلا واعترافـا بايادیه على الآداب العربية كريما ، ولم لا يصنع المعهد الرشيدى هذا الصنيع وهو المعهد الفنى الذى يستلهم القائمون عليه من روح الفن الشمـائل الفاضلة والعواطف النبيلة من الوفـاء والتمجيد والتابين لشيخ الادباء ، واذا لم ترب الفنون الجميلة فى الفرد والجماعة الفضائل الكريمة فلم تبق الا مجالا لاثارة الغرائز الفاجرة ! لا سيما وقـد كان الامام الاديب الكبـادى بهذا المشروع حفيـا ولاهدافه مخلصا وفيا وللاخذ بيـده فى الحفاظ على التراث الفنى التونسى سندا قويـا ، وربمـا كان الجانب الفنى او التذوق الفنى على اصدق تعبير من شخصية الكبادى مجهولا لدى كثير اللهم عدا الذين عاشروه طويلا ولابسوه عميقا حتى تاتى لهم ان يعرفوا نوازع نفسه ومسارح انسه ولطائف ذوقه وشدة احتفائه للصوت الندى فى المعنى الرفيع والتلحين السليم فى الايقاع الحكيم مع الاستمتاع الرفيع . وانه لمـن طوالـع السعد فى دياجير حياتى ان عرفته فى فجرها اخذا عنه الادب فى الخلدونيـة ومدرسة الترجمـة بالعطارين وفى مجالسه الخاصة حتى اصبحت لـه تلميذا ملازما وابنا وفيا وصديقا حميما تسلل الى دخيلة نفسه وسريرة حسه وكان ذوقى الموسيقى وقتئذ فطريا ساذجا واذنى غفلا عاطلة لما تشنفها بعد تناغيم المثـالث والمثانى فكان يستوى لدى ذوقى صوت العنـدليب يشدو على الغصن الرطيب والصوت الساذج الغرير ، وفى مجلسه الخاص كان يزوره اصحاب الحناجر المغـردة من امثال : السيد محمـد العقربى والسيد المختار التريكى والسيد خميس ترنـان والسلامى الاصيل الظريف المرحوم الصادق بن عبله وزميله السيد الهادى عجاج ، وكلهم كانوا يحبونه اصدق الحب لظرافة شمائله ومكارم اخلاقه وتقديره للفن واهله ، واحتفاله لهم حين انشادهم لقصائدهم الفصيحة وسلاسلهم الذهبية مـن الانشاد الصوفى السلامى الحافل بالصناعة والاشواق ، ومن ثمة بدا ذوقى يرهف وينصقل بالسماع والحوار لست الآن

يا سادتى بسبيل الحديث عن هذا الجانب من شخصيته ، وانما اثارته الذكرى وجلبه منادى المعهد الداعى الى تابينه ولكنى لا بـد ان الاحظ ان الكبادى كان فى الفن ذواقة احب الفن من صدر شبابه الى جلال شيخوختـه وتتبعـه فى الزوايا وفى كل مكان فقد كان احساسه بالجمال راقيا يتجلى له فى طلعة الوجه البليج والنغم البديع والزهر البهيج والمعنى الكريم والنكتة الحـارة • وأنتم تعلمون ان بين الشعر والفن صلة رحم ورابطة هدف وان بين° صرير القلم وتغريد الحنجرة الفة وانسجاما ومناجـاة وبغامـا ، واكاشفكم سريرة نفسى فاقول : انى ترددت كثيرا فى صنع هذه الكلمة حين قرات فى الجرائد الاعلان عن اقامة هذه الذكرى وذلك لانى عازم على كتابة كلمة مطنبة فى حياته ربما خرجت فى رسالة تبقى ذكراه للاجيال الاتية ، ولكنى إخيرا نصرت الاقدام على الاحجـام لكى اهتبل هـذه الفرصة السعيدة الوفيـة التى اتاحها لنا المعهد الرشيدى كمجال لابـداء وفائنا لذكراه واكبارنا لمسعاه واذا فلا تنتظروا من هـذه الكلمة جلوة لحقيقة الرجل الادبية وبسطا للعوامل المـؤثرة فى تكوينه كنتيجة لمعاشرة واختبار وحصيلة لحب واكبار • اذ لا بد لذلك من وقت يرصد وينفق لاستجماع عناصر الموضوع وتخطيط معالم الحياة ولنكتف الآن بهذه النفثة الحزينة الباكية كمظهرللوعة فقده وحرارة خسارتهوكيف لايكونذلكوهو الرجل الذى لازمته طيلة ربع قرن اكرع وانهل من موارد ادبه الصافية واتنعم فى رياض اخلاقه الراضية الوارفة واستضىء بانوار عقيدته الصادقة الثابتة فى دياجير الفتن واعاصير الامتحان •

لقد فقدت انسه وعلمه وفضله وانا فى اشد الحـاجة اليه لطرد الـوحشة ومطاردة الغربة ، ولقد شعرت حين نعى الى بيتم فى فكرى • وثكل فى خلقى وغربة فى عقيدتى • ولقد احسست وهو يوسد التراب ويغيب تحت الصفائح بانى اغيب سر روحى وحشاشة قلبى لطول ما بيننا من عشرة استحالت فى الى بنوة بارة وفيه الى ابـوة حانية رحمه الله وليس فى الموت حيلة الا ان يعين الله على بلائه بالصبر وجميل العزاء كما يعبر المويلحى •

كان الكبادى رحمه الله حجة من حجج العربية السالفة فى العصور الذهبية لعصور الاسلام وراوية من رواة الشعر العربى من عهده الجاهـلى السحيق الى عصرنا الحاضر • منحه الله حافظة واعية لاقطة كالمرآة ما وقـع امامهـا مرئى الا عكسته وكعدسة المصور ما وقف امامها شىء الا صورته ولـم يكن يتكلف حفظ الشعر والنثر فى صدر شبابه بل كان يكفى ان يعجب بالقصيد الشعرى او المقطوعـة الادبية فيحفظ ذلك سريعا بهذا اجـابنى عند ما سالته عن سر

كثرة حفظه للقصيد الشعري والنثر الرفيع وكيف كان يحفظ وانه لمحدث لبق يجمع الى الفكاهة الحلوة ذخيرة وفيرة من ملح الطرائف ورقائق الملح يطرب بها محدثيه في المناسبة الطيبة والفرصة المواتية فهو من هذه الناحية في هذا العصر مثال نادر في رواية الادب ودرايته وطراز عبقري غريب في المفاهيم القديمة للادب العربي طراز طوى بساطه بموته رحمه الله ولعل امثاله في الشرق العربي اليوم قليل ٠

ان الذي يجلس اليه ومعه حظ من الاطلاع على اساليب الادب القديم وتراجم رجاله يراه مثالا اذخره الزمان ليكون نموذجا من اولئك الحفاظ الكبار في الادب العربي امثال : المفضل الضبي وخلف الاحمر والاصمعي وابي عمرو ابن العلاء والاصبهاني وابن دريد وابي بكر الانباري وغيرهم٠وما كان الكبادي راوية يحمل اسانيد الرواية ومتون الشعر وعيون النوادر والاخبار بل كان يحمل ذلك مع هضم وتمثل وتذوق واستشهاد وتنزيل وترصيع ٠ لقد كان نادرة الفلك وبكر عطارد كما يعبر الثعالبي في التنزيل المبدع وحسن استغلاله لثروته الادبية الباذخة في دروسه ومحاضراته ومجالسه الخاصة جادا وهازلا راضيا وغاضبا ، مادحا وقادحا حتى ليكاد يجمع المتصلون به من قريب على انه يفهم الحياة فهما شعريا وجدانيا ٠ فهو لا ينفك مستشهدا بالابيات المفرد او المقطوع او القصيد ٠ في كل حديث يثار في مجلسه حتى يشعر من يجاوره انه رجل اديب من فرقه الى قدمه وان الروح الشعرية تخللت مسلك الروح منه وان مفاهيم الشعر الخيالية الوجدانية هي المهيمنة على تفكيره والمسيطرة على احكامه ٠ ومن اطرف ما تسمع عنه حواره في الاحداث السياسية العالمية حين يحلو له ان يفهمها بلغة الشعر فاقول له : ان للسياسة ظاهرا وباطنا ومن اغتر بما تنشره الصحف وترسله المذاييع فهو رجل ظاهري في السياسة لم يتعمق ولم يتغلغل فيقول مرتجلا :

لفرط ما سمعت اذناى من كذب
اصبحت ارتاب مما خط في الكتب

وكيف ينطلي علي ما يكتب ويذاع وانا القائل ، ومعذرة مني ومنه للسادة الصحفيين

ان الجرائد والدنيا بلا عدد
وكل ما كتبت زور وتضليل

فـلا يغـرنـك قـول حـدثـتـك بـه
فمـا احـاديثهـا الا الاباطيـل

عرفته فى نحـو الستين من عمـره وهو فى صحة جيدة وذاكرته فى عنفوان قوتها وعقله فى مستوى نضجه وابناءه وخلقه الكريم قدصهرته التجارب والاختبارات للدهر وابنائه وقـد رايته فى تلك السن يمثـل الزعامة الادبية المحافظة ، فلا يروقه الا القديم من الادب فى لفظه ومعناه واسلوبه واغراضه ٠ رايته ينفر من الاساليب الحديثة المقتبسة من الادب الغربى ويعد تلك النزعة زندقة فى العربية واهلها ملاحدة فى الادب كانه عـربى قح خالص من اولئك القبائـل السليمة من مخالطة الاعاجم وكان فى دروسه واحاديثه ملتزما العربية الفصحى العالية فى يسر وسهولة كانه ارتضع افاوقها من مضغة الشيخ القيصوم فى صحارى الجزيرة العربية وانه فى لغته لعربى قح وفى سلوكه تتجلى اخلاق فضلاء العرب وفى افكاره وسجاياه تتجلى مظاهر العروبة وتقاليدها وعـاداتها فهو عـربى الاسم والمسمى وعربى اللفظ والمعنى ٠

حتى انه ليقول فى آخر ما سجلته له الاذاعة : انـا عـربى واسمى العربى واحب ان يؤرخ ميلادى بالعربى وان تكتب وفاتى بالهجرى العربى ٠ ولم لا يلح هذا الالحاح وقد اتخذ التاريخ الهجرى مهجورا من طرف قومه ؟ !

ولعل سبب ذلك طول مطالعته لمكرمهم وفضائلهم فى دواوين الادب والتاريخ كان لا يعجبه من كتـاب عصره الا من كان مطبوعا بالاسلوب القديم الصميم (كمحمد المويلحى فى حديث عيسى بن هشام) وهاكم ما قاله فى رثائه :

اخـلاى ان الشـرق مـات كـاتـبـه
ونـاحت على فـن البيـان نـوادبـه

فلـم تبـق عين لـم يفض مـاؤهـا اسى
ولـم يبـق قلب لم تضاعف مصـائبـه

تهـدم فـن النثـر بعـد محـمـد
فـلا نثـر الا قـد تـداعت جـوانـبـه

بليـغ يـريـك القـول ذرا منضـدا
فيلهيـك مـن سحـر البيـان عجـائبـه

لـه القلـم الاعـلى الـذى لصريـره
عـلى الطـرس تـاثير يهولـك جـانبـه

ومـن كـان فى فـن الكتـابـة نـابغـا
فكل امـرىء يهـوى الكتـابـة نـادبـه

وقصيدته فى رثائه من روائع شعـره الرثائى تجدونه فى نشرة الخلدونية لعام 1930 وقد كنت سالته وانـا فى مطلـع حياته الادبية عما اقرأ من كتب النثر الرفيـع ؟ فدلنى عـلى كتاب كليلة ودمنة وحـديث عيسى بن هشام وانـه ليأمرنى مرات باعادة المطالعة لكليلة ودمنة مشيرا على بان الثانية خير لى من الاولى وهكذا فى كل مرة تتعدد الفوائد والتكوين الصحيح ، ثم بعد ذلك تدرجت صعدا فى مطالعاتى الادبية حتى بلغت سدرة المنتهى حيث الجاحظ والتوحيدى وابن المقفع • وما كنت انا وغيرى من ابنائه نستطيع بلوغ تلك المنازل الرفيعة فى الادب لولا شغفنا بالادب الى حد العشق والهيام واقبالنا على دروسه التى حبب الينا فيهـا الادب القديم وزينـه فى صدورنا ومكننا من اسرار مفاهيم الشعر العربى وقيمه الجميلة فى ميدان الفكر والوجدان حتى اخذ كل منا نصيبه على قدر العقول والهمم •

اما اليوم وقد طغى الادب الرخيص على ناشئة الادب : فحق عاف بدمعك الهمم كما يقول المتنبى •

وما كانت محافظته فى الادب عنوان جحود او تعصب انما هو حكم التكوين ومفعول البيئة بل قد كان المعى الذكاء ، حاد الفطنة مرهف الحس حلو الحديث ، قوى العارضة ، سريع البديهة ، فى فهم الادب ولطالما خـالفته فى آرائـه ثم تمضى على مـدة الاختبار والتجربـة فاجيئه معترفا بسداد رايه فيقول : لطالما خـالفته فما دعاك الى اعتناقـه ؟ فاقول : لا احب ، ان اقلد تقليدا بلا برهـان واقتناع وانى الآن لمقتنع بعد ان جربت تجربتى الخاصة ، يدافع عن مذهبه القديم فيجرك الى اتباعه طوعا او كرها بصولة بيانه وقوة برهانه وكنت اتمثله انا لسان ميزان حين تهم ان ترجح احدى الكفتين الجديدة والقديمة فى عالم الادب بالاثم والعدوان وحين يكثر الدعـاة الى التجديد والتطور بلا هدى ولا بصيرة ولا كتاب نير ومن اجل هذا كان يكره اسلوب طه حسين ويعده اسلوبا فضوليا غريبا حتى املى طه كتابيه (تجديد ذكرى ابى العلاء) (وعلى هامش السيرة) وقد قرأنا الاول معا فى النادى البنانى بباب المنارة وقرأ الثانى وحده فاعجب بهما اعجابا واثنى على اسلوبهما ثناء حسنا • وفى السهرة بهذا النادى كنا ناتيه بمجلة الرسالة للزيات وهى فى عنفوان شبابها الادبى القوى الذى كون جيلا من الشباب الادبى فى العالم العربى وقتئذ وكنا نقرأ له بعض فصولهـا الجيدة ولكنه لا ينسى ان يذكرنا عند ما يرانا نقف معجبين امام رائعة من روائع التفكير

او التعبير الغربي بالروائع المماثلة من شعرنا القديم في تاريخنا الحافل بالامجاد والمكارم فيثير فينا نخوة الاعتزاز بالقومية اللغوية والقيم الجمالية للحضارة الاسلامية وينفخ فينا روح المقاومة لسياسة الحماية في مطاردة العربية ، وبذلك كنا نجمع بين طراوة الجديد ونظارته وبين اصالة القديم وجلالته واعظامه في العقول والصدور ، وانها لطريقة سليمة في نظري لتكوين الاديب الناشيء ، فيها من الطرافة والاصالة شيء كثير تمكن طالب الادب العربي من ان ينشأ تنشئة ادبية تجمع بين الخالد من القديم والبديع من الجديد دون ان يقصر قصرا على نمط معين يضيق آفاقه ويحبسه في او هاقه ٠

وان هذا ليذكرني بما حدثنا به طه حسين في كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لاستاذه المستشرق الايطالي (نليتو) حيث كان طه حسين في الصباح يذهب الى الازهر لياخذ الادب القديم على شيخ ادباء مصر في عهده وهو الشيخ سيد المرصفي المتوفى سنة 1931 ، حتى اذا ما جاءت العشية اخذ عن هذا المستشرق الاساليب الحديثة في دراسة الادب ونقده وتاريخه بالجامعة المصرية٠

وهما عاملان متغايران قديم وجديد لكل منهما خصائصه ومقوماته وقد تعاونا على تخريج طه حسين وامثاله من اعلام الادب في مصر تخريجا ادبيا ممتازا ٠ وكان الكبادي لنا وقتئذ يمثل دور المرصفي ومجلة الرسالة كانت في نظرنا تؤدي تلقيح المستشرق الايطالي للتفكير الادبي بالجامعة المصرية ، وقد كانت مجلة الرسالة وقتئذ منبرا لعلية كبار الكتاب من جامعيين وغيرهم امثال الزيات وطه حسين والعقاد والمازني والرافعي والبشري وتيمور وغيرهم

لقد كان مكان الكبادي في النهضة الادبية في بلادنا في الصدارة فهو استاذ الجيل الادبي وهو الذي حمل مشعل الثقافة الادبية القديمة في قطرنا طيلة نصف قرن بدروسه في الزيتونة والعطارين والخلدونية واذكر يا سادة ان طه حسين اشتكى يوما وهو يضع مقدمة كتاب (قال الراوي) لمحمود تيمور من انصراف ناشئةالمتادبين في العالم العربي عن قراءة الادب القديم لانه صعب او شيء آخر من التعليل ٠ فالعهد بعيد بقراءة المقدمة

والحق اقول لكم انه لا يقبل على الجديد لانه جديد ولا يعرض عن القديم لانه قديم ، فليس ذلك بالمعيار الصحيح لتقييم اشياء الفكر والوجدان يقول العقاد : لا القديم كله نافع ولا البدع الجديدة كلها نافعة ولكنها النفع كل النفع في الحس الصادق والراي الجريء والعزيمة البصيرة لانها ستبقى ما هو جدير بالبقاء من القديم والجديد على السواء ٠ والراي عندي ان ادبنا الحديث اذا لم يكتسب من القديم الرائع عناصره الرئيسية ومقوماته الاساسية ولم يقتبس من الحضارة

القائمة وسائلها واهدافها فهو ادب مذبذب ظاهره تهاويل وباطنه فراغ وجفاف

وكذلك عاش الكبادى فى حيـاته الادبية لسان ميزان الاعتـدال فى العالم الادبى فى تونس كما عاش المرصفى فى مصر يحبب لابنائه اصالة الادب القديم بمحفوظه الواسع وتذوقه السليم ويعرضه عليهم عرضا ماهرا بارعا فيه ذوق مترف وفيه اغراء بالتعمق والموضوعية مثير • قرانا عليه اطرافا من الكامل للمبرد والبيان للجاحظ والمثل السائر لابن الاثير ورسالة الغفران ، ولزوم ما لا يلزم للمعرى • فكان لنا دائما كالقائد الماهر امام القافلـة جهد بها سبل المعرفة على غرار الفحول الاقدمين فى مدارس الكوفة والبصرة حتى اذا ما آنس من ابنائه عسرا فى الفهم او كللا فى العمل نفحهم بالنكتـة الحارة الضحـوك والاقصوصة المرهفة فيشحذ الهمم ويثير العقول ويطلق الافكار من عقالها ويخفف على النفوس اثقالها وما رايت رجلا فى حياتى احب العلم كالكبادى ولئن كان التدريس لدى غيره من المحترفين بالعلم مهنة محنة مقلقة فهو عنده متعة لزبدة وصناعة اثيرة يلقى طلابه بالوجه المتهلل بشرا ويحفهم بالترحيب والتاهيل وجميع ابنائه يعلمون انه ياخذ نفسه بادق آداب السلوك النبيل فى معاملتهم ومعاشرة غيرهم وفى الوقت الذى كنا نلاقى فيه من بعض اساتذتنا انتفاخا وتعاظما يجعل الصلات الطيبة بيننا وبينهم كالحة موحشة •

كانت اخلاق الكبادى رحمه الله عبيرا عطرا فواحا نضيرا ، كنا نرا فيه علما واسعا يزينه التواضع انه يوزع الحب والعطف علينا فردا فردا فيملا عقولنا علما لا عهد لنا به عند غيره ويضمخ قلوبنا بشمائل العلماء •

واذا احب الطالب استاذه اثمر البذر ثمرا مضاعفا كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة • اما المعاملة الجافة فان ثمرها يخرج نكدا كان يحب المطالعة حب الوله والهيام ، يقضى الساعات الطوال من يومه وليله متابعاً المطالعة دون كلل او فتور تعينه انفاس الدخان ورشفات الشاى • ومن المطالعة كان يستمد العيش الفكرى السعيد فى آفاق الاغانى للاصبهانى ، الذى قراه مرتين فى حياته وهو كتاب يدخل فى عشرين جزءا وقد كاد يقوم عليه كدراية ورواية وغيره من اصول الادب والتاريخ والحديث والتفسير •

وكان يتورع ويتحرج من ان تصاب لغته بجراثيم التعبير الصحفى ويقول : ان صاحبه وتلميذه المستشرق ويليام مارسى كان يحرس فرنسيته من سفسفة التعبير الصحفى فلا يقرا وقتئذ الا جريدة الزمان الفرنسية ــ فانظروا الى اى حد كان غيورا على عربيته • وتاملوا كيف كانت مفاهيمه للادب فى هذا العصر وعلى المطالعة عاش يافعا وكهلا ، وشيخا ، وسليما ، وسقيما ، حتى اقعدته العلة

بيته واصابه الدهر بازماته فكانت الكتب انيسه فى وحدته تلوذ به حتى خانه الصديق وتخلص له الحب حين اوحشته اخلاق الناس غدرا وهجرانا وكنت ازوره فى مرضه وهو يقاسى الم العلة ووحشة الوحدة فاحتضر الجلسة وهو يلح على فى البقاء عنده انسا وفضلا فما رايت اجل منه فى عينى وهو لزيم فراشه ورهين مرضه والكتب حوله منثورة وانى لاساله هنيئا لك هذه المطالعة فينشد متمثلا : « لم يبق شىء من الدنيا نسر به سوى الدفاتر فيها الشعر والسمر » وفى زيارتى الاخيرة له كنت اهم بالقيام حرصا على راحته فيلح على فى مواصلة الجلوس عنده ولما نهضت مودعا وكان فى ذلك الوداع الاخير ٠ ولو كانت الآجال تقبل التعويض والتاخير لزدناه من انفاسنا ونبضات قلوبنا ٠ عندئذ انشدنى هذا البيت وهو آخر ما اروى عنه :

يطول اليوم لا القاك فيه
وحول نلتقى فيه قصير

ولقد كان ابتسامه يخفى بؤسا نفسيا واسباب ذلك ليس هنا مجال لذكرها ومن اجل هذا التشاؤم كان يسرف فى قراءة لزوم ما لا يلزم للمعرى ويتاثر بافكاره المتشائمة حتى حملنى بالعدوى على مطالعته مرتين من كثرة ما اسمع من استشهاده به

ولقد حاولت للمرة الاولى فى حياتى الادبية ان اقول الشعر فصنعت هذين البيتين فى (الساعة) متاثرا بطريقة المعرى وعرضتهما عليه فاعجب بهما قلت :

وما هذه الساعات الا عقارب
تشول باذناب لهن سمام
وما نخرها للعمر الا تأذن
بان الذى تفضى اليه حمام

وما كنت ادرى ان ذلك اللقاء هو الاخير بينى وبينه وان عقارب (الساعة) قد وصلت الى النهاية فى نخر عمره وطى مراحل حياته التى ملها من الالم الشخصى الذى كان صابرا عليه ومن السخط السافر على موقف المسلمين من دينهم الحنيف

رحمه الله كفاء حبه للعربية وتمثيله للاخلاق الكريمة وتشبثه بالعقيدة الاسلامية

فلقد بذل الادب لكل راغب فيه للقريب والبعيد للاصيل والاجنبى فى المدرسة والمقهى فى المجلس السامر والطريق العابر ٠

ولقد رب المستعدين من ابنائه بفضائله تربية صالحة طيبة وغرس فى قلوبهم حب العروبة والعربية والاسلام

وجدير بى يا شيخى الكبير ان اتمثل بما قاله ابو العتاهية فى رثاء الاصمعى الراوية :

اسفت لفقد الاصمعى ، لقد مضى
حميدا ، له فى كل صالحة سهم
تقضت بشاشات المجالس بعده
وودعنا ، اذ ودع ، الانس والعلم
وقد كان نجم العلم فينا حياته
فلما انقضت ايامه افل النجم

محمد الصادق بسيس

شيخ ادباء تونس لهذا الجيل

محمد العربي الكبادي

1881 ــ 1961

بــقلم : زين العابدين السنوسي

شهرته وأدبه منذ 25 سنة وتـونس تطلق على صاحبنا هذا لقب **شيخ الادبـاء** ، ومجالسه تقصد ، والطبقات الناشئة تتعلق به وتلزم ظله حيثما حل، وكانت الصحافة التونسية تنشر له قصائد الشعر منذ نهاية الحرب الاروبية الاولى ٠ ومع ذلك فانى لم ادمجه فى كتابى « الادب التونسى فى القرن 14 هـ »٠ لا فى المجلدين الذين اخـرجت فيهما تـراجم الشعراء ، ولا فى المجلد الثالث الذى خصصته بالناثرين وحجزته الحكومة الاستعمارية حينئذ ٠

ذلك انى كنت اراه صنفا آخر ، غير صنف الشعراء وغير صنف الناثرين والكتاب المرسلين ٠

ويمكننا ان نعترف باننا قد حشرنا فى زمرة الشعراء بعضا ممن هم دون شعـره الذى كنا نحتفظ بقسم طيب منه ٠ ولـم نضمه اليهم !٠٠ لان قيمته الادبية كانت اعظم من نظمه ، بكثير ٠

ولو حشرناه فيهما واتينا بمختارات ادبه لما خلدنا للاجيال معالم عظمته فينا ولا عبرنا على شيء من قيمته الحقيقية الجليلة

انما هو ابو المجلس الادبى وقطب الدائرة حيثما حل ، بمحاضراته التى لا يفنى معينها ولا ينضب رقراقها الشهى ٠ ومع ذلك فان حضوره كان قليلا فى اجتماعات « النادى الادبى » الذى كان يحضره زمـلاؤه وخواص الادبـاء بالعاصمة التونسية ومن يفد عليها من الآفاق ٠ فى حقبة ما بعد الحرب الاروبية الاولى ٠

واذكر ان الاستاذ **مصطفى آغـة** قد عـارض فى الالحـاح عليه فى مـوالاة حضور « المجلس الادبى » بقوله :

« الشيخ العربى ، فيض يغمر كل نظام ويحل عقدة كل التزام ، فيكتسحه٠ وهو قد اعتاد مجالس تلاميذه المستمعين المنصتين ، فلن نثقل عليه بمناظراتنا ومباحثاتنا ، ولا هو بمستجيب لشيء مما نفرضه من تبادل الآراء والتزام منهج

المناظرة وتبادل الكلمة • وحديثه تاخذ فيه المواضيع باعناق بعضها ، حتى لا تبقى لغيره مجالا ويمكن ان تحصر ، ولن يشتهى عاقل ان يقطع تسلسلها »

وكان الحقوقى الشيخ محمد العتكى ينصت اليه بشراهة وتشجيع • ولكنه اخذ الكلمة بعده فى موضوع آخر ، لم يبق معه مسلك للتفكير فى مراجعة موضوع هذا الترشيح الذى كنا نتوق اليه ، وليس فينا الا المعجب ببراعة **الكبادى** ، المكبر لسياقاته وعذوبة مجلسه •

وهذا الاسلوب الذى امتاز به **الشيخ العربى الكبادى** وكون حوله هالة الاكبار والاعجاب ، وجعل طبقات من الناشئة تلزم مجالسه على التعاقب وتتتلمذ له ••• هذا الصنف من ادب المجالس قد خصصناه بدراسة مستفيضة لانه صنف أدبى عزيز كريم ، قل من حدده ودرس عناصره وجاذبيته •

اسمه

كنا نطلق عليه **الشيخ العربى الكبادى** ونكنى عنه **شيخ الادباء** • بينما هو كان يهتبل كل فرصة لتدقيق ان لقبه العائلي قد تحول مع الزمن ، فهو قد كان فى الجيل الماضى ينطق به بضم الكاف **الكبادى** ، ولم يتسم به الا جده وابوه فقط • بينما اسم العائلة قد كان فى القرن قبله فى نسبتهم « **الشبلى** »

«فجدنا الخامس **محمد الشبلى** انما جاء مهاجرا من الريف المغربى الى مدينة تونس مصحوبا بزوجته وابنهما الصغير **الطيب الشبلى** ، جئناكم من المغرب الاطلسى تجاه بلاد البرتغال فى مدة صولتهم العاتية وقرصانهم وتهديدهم الدائم للشواطىء المغربية ، اذ كان هؤلاء الاسبان والبرتغاليون قد شبعوا من خيرات الهنود الحمر من امريكا وزادت شراهتهم للبلاد الافريقية المجاورة اليهم فنزلوا شواطىء سودانها •• ولكن ارض المغرب الاسلامى كانت صنفا آخر يزداد منعة وصلابة كلما ازدادوا نهمة ، •• فتتوالى غاراتهم وتتدارك على ارض الريف حتى بلاد شنقيط من مساكن الامة الاسلامية المستعربة والامة العربية التى استوطنت تلك البلاد من مغرب افريقيا واعمرتها • وكنا نحن ، اعنى ان جدى الخامس كان من الامواج الاسلامية التى هاجرت من الشرق واستقرت فيه ، محافظة على لقبها الشرقى الصميم **الشبلى** نسبة لشبلة من وراء سمرقند فى جمهورية الازبكية فى قلب البلاد السوفيات الاسلامية ، قال القاضى **احمد البرمكى الازبلى** الشهير ، كما تعرفونه **بابن خلكان** فى كتابه **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان** ، ما نصه :

« **شبله** بكسر الشين وسكون الباء الموحدة وبعدها لام مفتوحة ثم التاء فى آخرها ، قرية من قرى **اسروشنة** بضم الهمزة وهى بلدة عظيمة من وراء

سمرقند من بلاد ما وراء النهر . وحدث ابن خلكان عن **جعفر بن يونس الشبلي** بعد ان زهد فى ولايته على تلك الجهات من المشرق الاقصى واخلد للعبادة ، فيقول :

« مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى دمعان فى الاجفان يزدحمان

« ما انصفتك الحادثات ، رمينني بمودعين وليس لى قلبان

وكان له مجالس مذكورة فى بغداد لاعصر تاسيسها وازدهارها ...

ثم يعقب على روايته وما يورده من اشعار ونصوص ، بانه لا يريد ان يقول بانه جازم بتسلسله من ظهر هذا التلميذ النابغ للامام **الجنيد** « ولكنى اسوق لكم التحقيق عن هاته النسبة **الشبلي** التى جئنا بها من بغداد الى المغرب الاقصى وقد وجدت فى رحلتى الى تلك الارض الكريمة من المغرب ذكرا لعائلة **الشبلي**، مازالت محافظة على لقبها فى مدينة **تطوان** ، كما حدث به معاصرنا الباقعة **محمد داود** مؤرخ الريف العربى من مغربنا الاقصى

« بحيث هاجر من المغرب هذا الجد **محمد الشبلي** فنزل **تونس** مع شبله الصغير **الطيب** وقرء هذا الولد فى تونس وتزوج فيها وانجب ابنه **محمد الصغير** الذى تسلسلنا منه ، الا انه فقد بحبه لابنه هذا نسبة عائلتنا التى حافظت عليها للارتباط بالمشرق الاقصى . فقد كان حدوبا عليه لايكاد يطيق غروبه عن عينه ، وهو دائما يلهج « ياكبيدتى ! اين كبيدتى ؟ » هكذا ، برفع الكاف على صغة التصغير للكبد من الاحشاء ، ومن هاته الترديدة للحرقة على كبيدته، كناية على ابنه **محمد الصغير** اصبحت كنية الولد **الكبادى** هكذا يرفع الكاف ، وتونسيت نسبة العائلة الى شبلة ، ثم ولد لهذا الجد « **محمد الصغير الكبادى** » ابن اسماه **محمد الشاذلى الكبادى** ، الذى هو والدى ومشترى هاته الدار التى نحن فيها ، وقد ولد له ست بنات وثلاثة من الذكور قد اسماهم جميعا باسم واحد **محمد** ثم فرق بينهم باسم ثان ، فاولهم **محمد الاكبر** وثانيهم **محمد الصغير** وانا **محمد العربى** وكانت ولادتى .. » الى آخر ما يذكره من تدقيقات يحليها برواية الابيات الشعرية ويزيدها وضوحا بذكر العائلات النابهة فى تونس ممن اصهر اليهم ابوه ببناته ، ويذكر تاريخ كل بناية مما اشتراه ابوه وجمع به قسما من املاك العائلة فى جهة واحدة من العاصمة التونسية ، وقد بسط عادة ذلك الجيل من عائلتهم المتشبثة بالروح الاسلامية من التيمن بتسمية ابنائهم باسم النبى العربى **محمد** (صلعم) ويذكر ان التفرقة بين هؤلاء المحمدات قد تكون باضافة صفة او اسم ثان كما كانت فى عائلتهم كما لمحناها ، وبعضهم يفرق بين المحمدين بالارقام كما هو الحال فى العائلة البيرمية من **محمد بيرم الاول حتى محمد بيرم الخامس** صاحب كتاب **صفوة الاعتبار فى**

المالك والامصار الذى طبعه سنة 1585 بعد ان هاجر الى مصر لكى يبدل عن نفسه جو « الحماية الفرنسية » التى هيمنت ع لى البلاد . ومن هنا يتسرب لذكر محاول **بيرم الخامس** كتابة الحروف العربية مقطعة كلها ، غير متصلة ، مثل الحروف اللاتينية ، رجاء تسهيل الطباعة ، ولكن هاته المحاولة التى ظهر بها فى عناوين ما طبعه من كتابه الكبير ، لم تنجح ولا اخذ بها الطابعون من بعده .

لقد اوردنا من مجلسه هذا مبلغ ما يتنقل اليه من المواضيع والافادات بمطالعاته المتنوعة ، وملاحظاته الدقيقة ، ونقله المفيد وما يسرده من اشعار ولطائف ، ليكون انموذجا ظريفا لنوع ادبه الذى دققنا عناصره فى كتابنا « تاريخ الادب التونسى وعناصره »

حياته

ولد صاحبنا **محمد العربى الكبادى فى** مدينة **تونس** قبل منتصف الليل من يوم الثلاثاء غرة يناير (جانفى) 1881 ـ 28 المحرم 1298هـ اى قبل اربعة اشهر من كارثة الهجوم الفرنسى واكتساحه الحدود البرية والبحرية للبلاد التونسية لفرض تحكمه ونصب هيمنته التى لقبها « الحماية »

وصاحبنا قد تربى وترعرع فى حماية والده **الشاذلى الكبادى** وهو فى بحبوحة من نعمة وخير عائلته الواسع من عهد الاستقلال وفجر الاحتلال بما يصنعه مع موظفى الدولة ... وكانت املاكهم العقارية فى ربض المدينة العاصمة ، وكان والده قد جمع لنفسه ملكية تتصل بين شارعين متماشيين من قلب المدينة « **تونس** » ، من شارع الحبيب بورقيبة الذى كان يقع فوق السور القديم للمدينة ، وشارع : المر . وكانت بوابة دارهم الكبرى على الشارع الاول من حيث يتصل القصاد والزوار ، بينما تفتح من القفا ، فى زنقة « ام هانى » فى شارع المر » ، على عادة البيوتات « البلدية » ، التى تخص « الحريم » وقضاء الحوائج المنزلية اليومية ، تخصها بباب ثان يقع فى زقاق ، بعيدا عن الاعين ، حيث ان الازقة الحادة لا يدخلها الا سكان الزقاق . فهكذا كانت هندسة بيوت الافذاذ المقصودين من اصحاب المال والوجاهة . فهم قد تأثلوا فى **تونس** واصبحوا من خير عائلات البلدة ، وتسلسلوا فى العلم ومباشرة خطة « التوثيق » التى كانت تعتبر ارقى الوظائف الثقافية فى خدمة المجتمع المدنى بالحواضر الاسلامية

وكان والده **الشاذلى بن محمد الصغير الكبادى** عضوا فى المحكمة بالقسم المدنى بعد ان ولى عضوا فى القسم الجنائى ، فهو من الطبقة الثانية لموظفى هاته « العدلية التونسية » التى انتصبت محاكمها النظامية الحرة منذ عهد

الاستقلال ، وكانت باكورة المؤسسات الدستورية في البلاد ، وكانوا يعبرون عن وثيقة الدستور سنة 1857 « عهد الامان »

وجهه ابوه الى جامع الزيتونة ، وهو المؤسسة العلمية الكبرى في الشمال الافريقي ، وصاحبنا في 12 من عمره ، فاحرز عن جائزتها العلمية المعبر عنها « التطويع » ٠ اى التى يخول بها ان يتطوع صاحبها بالقاء دروس في المعهد ، والانتصاب للافادة العلمية ٠ وكان لهؤلاء « المتطوعين » نظام خاص يجعلهم من صف ما نعبر عنه اليوم بالاساتذة المتمرنين ، يتقاضون دخلا نسبيا محدودا عن دروسهم في المعهد ، ريثما يصبحون مدرسين رسميين في المعهد « جامع الزيتونة » او غيره من المعاهد والجوامع والزوايا ، التى يترتب فيها التعليم وينتشر بها في حومات العاصمة وغيرها من البلدان والافاق ٠ وكان صاحبنا في عنفوان شبابه ، قد بلغ الثانية والعشرين ، وذلك سنة 1902 ، ولكنه لم يباشر التطوع بالقاء الدروس ، الا بعد ان تزوج وشبع من حياة الشباب ، عشر سنوات اخرى سنة 1912 ، حسب ارادة والده الذى كان يرعاه بعين الابوة والمعذرة والارشاد ٠٠٠ حتى توفي عنه سنة 1914 ـ 1333 هـ وهو قرير العين بما تركه له من ثراء وما بثه في نفسه من اخلاق وما وصل به اليه من ثقافة وعلم ، مع صحة جيدة وكمالات ظاهرة شريفة ٠

وكان قد بدأ بدخول « المناظرة » على خطة « مدرس بجامع الزيتونة » الا ان تطوحاته الادبية في تلك المناظرات العلمية لم تيسر له التفوق على مناظريه المتمحضين لعلوم اللغة والعقائد وعلم الكلام واحكام التشريع الاسلامي و «الفقه»

وفي سنة 1916 التحق بادارة الاوقاف الاسلامية

وفي سنة 1917 عين مدرسا للآداب العربية في مدرسة اللغات الشرقية بتونس « مدرسة سوق العطارين » ٠ فكان يجمع بين الوظيفين ، وثابر عليهما حتى موفى سبتمبر سنة 1934 ، اذ استقال من خطته بالاوقاف ، ليتمحض لدروسه في الآداب العربية ، وكان درسه اعذب مجلس ادبي عرفه الطلبة ، مما جعله يضيق بقصاده من الطلبة المتحضرين له وغيرهم من طلبة مختلف المعاهد الذين يتزاحمون على ساعات درسه ، ولن يملوا امتداد حديثه وراء حدود الساعات المعينة ٠٠٠ بل انهم ليخرجون معه زرافات الى الشارع يشايعونه وهو يعاقب رواياته واحاديثه الادبية ، حتى يصل الى بيته والحديث لاينقطع والتجاذب متين والشوق معقود خلوب ٠ وغرائب الابيات الشعرية والنكتة الادبية تتتالى على بسماته وملاطفاته لهؤلاء الاصدقاء من الشباب المتعشق ٠٠٠

وانهى دروسه فى مدرسة اللغة والاداب العربية ، وقد انتدب فى شهر اكتوبر 1945 – بغير مناظرة – لالقاء محاضراته بالجامعة الزيتونية فدرس الاداب العربية فى اقسامها العليا ٠

* * *

وكان سافر فى تمثيل تونس فى مؤتمر اللغة العربية ، الذى انعقد فى **رباط الفتح** العاصمة الادارية للمملكة المغربية فى شهر مارس 1933 حيث القى مسامرة ارتجالية ، كما القى فى مدينة فاس بادرهم فيها بقوله السهل الممتنع :

خضراء **تونس** حيث بالثنا العطر	معاهد **المغرب الاقصى** منى النظر
وحملتنى تحيات لساكنها	اذكى من المسك انفاسا لمعتبر
لما بدت من حمى فاس معالمها	ما بين مرتفع منها ومنحدر
كادت تطير لها الارواح تاركة	من شوقها قفص الاشباح والصور٠الخ

وكان ذلك الوفد متركبا من الاساتذة : حسن حسنى عبد الوهاب الذى اصبح اليوم مديرا للآثار التونسية والسيد محمد التركى والاستاذ وليام مارسى المستعرب

* * *

وفى سنة 1930 و 31 و 32 كان يلقى سلسلة من محاضرات اسبوعية فى معهد الجمعية الخلدونية ، قد تولى بعضهم تلخيصها لجريدة « النهضة » حيث نشرت ٠ وتجدها هناك قد كانت فى العام الاول حول الادب العربى وخصائصه فى عموم اقطار العروبة ومهاجرها ٠ وفى العام الثانى عن الادب فى المغرب والاندلس ٠ وفى الثالث خصت بالادب فى تونس لعصورها العربية

كما انه رأس لجنة مراقبة الاغانى التى عقدتها « جمعية الرشيدية » لتحقيق وتهذيب نصوص الاغانى القديمة والاغانى الجديدة التى تقدم ٠

وهو نفسه قد قدم اغنية سارت على الالسن «ام الحسن غنات ، فوق الشجرة» فقد تسجلت فى المذياع بصوت « صليحة » وما زالت تطلب وتذاع

كما رأس « لجنة الدفاع عن المسرح » منذ تاسيسها سنة 1944 ، شهر ديسمبر ،وقام لها بمسامرة عن« التمثيل فى اللغة العربية» يوم 24 نوفمبر 1945

ومنذ سنة 1938 وهو يلقى محاضراته الادبية بالمذياع التونسى حتى عجز على التنقل اليه فأصبحت السيارة المتنقلة للمذياع تذهب الى بيته لالتقاط محاضراته ومجالسه فى ناديه من بيته ٠٠٠ حتى اسبوع وفاته ٠

فلقد اصابته نزلة خفيفة اخذته فى ظرف اسبوع لانحلالات الشيخوخة ، وهو يبسم لزواره مستهينا بما كان ينتظره من الموت المقدر على الحياة ٠ فهو قد جاوز الثمانين ، بشهر واسبوع تام ، اذ توفى يوم الثلاثاء 7 فبراير من عامنا 1961

ز٠ ع٠ السنوسى

منزلة الكبادي في الأدب التونسي المعاصر

بقلم الدكتور محمد فريد غازى

هذا عنوان القيته على الورقة ، عازما ان اتحدث ٠٠٠ ولكن ارى بينى وبين الحديث الذى الفت ان اقوله شيئا من الحيرة لا ادرى كيف اصفها ولا باى لسان اعبر عنها ٠ ٠ ٠ لا لنقصان المادة ولا لفتور فى العزيمة — عزيمة البحث عن آثار الكبادى فى الجرائد والمجلات والكتب ولكن ، لانى اجد نفسى مجذوبا بين نزعتين :

نزعة الموضوعية العلمية التى تملى على ان اتحدث وان ابحث الكبادى كما لو كان رجلا غريبا عنى ، لم اعرفه ولم يعرفنى ٠ ٠ ٠ كابن المقفع مثلا (1) او كالشابى ٠٠٠ (2) بحثا علميا يخاف ان ينزلق وان يقع فى الاحكام القيمية ، لان هذه الاحكام لا تتأتى للمفكر وللباحث الا بعد جهد جهيد هذه النزعة الموضوعية التى توخيتها فى دراسة المسرح التونسى (3) واجدنى مجذوبا لنزعة اللاموضوعية او الارتسامية Impressionisme لانى عشت

فترة من ايام حياتى قريبا من الكبادى ، ايام صباى وشبيبتى الاولى ، وانا انهل من اقواله ومن امثلته ٠ ٠ ٠ بمقهى الصيد (المواجهة اليوم لوزارة الدفاع) ، او بمقهى باب المنارة قريبا من بيته ٠٠٠ ومازلت اذكر حلقة ضمت ليلة من ليالى رمضان حوله الشيخ ويليام مارسى وادباء من الجزائر والمغرب الاقصى وليبيا ، وكانت ندوة سادتها روح الظرف والفن الرفيع ٠

« عرفته » ٠٠٠ واظن ان هذه الكلمة تكفى ٠٠٠ وما زلت اسمعه يقول وقد رآنى اشتريت قلما جديدا فقال مداعبا ،

« فريد ، فى يراعته فريد

به حبر نفيس لا يبيد »

هذه الذكريات ، لم تزل يومياتى — التى سميتها وانا فى سن السادسة عشرة « يوميات طفل » تحتفظ بالكثير من ارتساماتى عنه وعن « حاشيته » مثل مصطفى خريف ، ومحمد (بالفتح) المهبولى وحمادى بركات ٠ ٠ ٠ كما تحتفظ بالكثير عن على الدوعاجي واصحابه ومقهى « تحت السور » ومرتاديه « وحانوت » صالح الخميسى والمترددين عليه ، و « نادى المجانين » واعضائه ٠ ٠ ٠

ولكن ، رغم هذا الانجذاب نحو الموضوعية من جهة ، ونحو الارتسامية من اخرى اود ان ارسم من الشيخ العربى الكبادى صورة تقترب من الموضوعية

العلمية التى رسمتها لنفسى ومن الارتسامية ومن « الروحانية » حتى لا يفسد العلم ارتساماتى ولا تفسد ارتساماتى منهجى العلمى

اديب ظريف (4) . . .

الشيخ الكبادى ، يقوم امامنا فى الادب التونسى ، بين مدرسة قبادو ، الكلاسيكية المحض ، وبين مدرسة الرومانطيقية الاولى ، السابقة لمدرسة الشابى ، التى تجمع بين من تجمع « امير الشعراء » الشاذلى خزنه دار (5) ومصطفى آغه (6) ومحمد بوشربية (7) وابا الحسن ابن شعبان (8) وحسين الجزيرى (9) .

ولكن عند ما نقول انه بين الكلاسيكية القديمة وبين الرومانطيقية التونسية ، فى حلقاتها الاولى ، لا نؤيد راينا هذا بحجة . . .

ولعل علم الاجتماع ، ان طبق على الادب (10) كفيل بابراز ما نرمى اليه ، وما نعتقده من ان الكبادى حلقة بين الماضى والمستقبل اذن فهو يجمع بين الماضى وما فيه من تيارات وبين المستقبل وما يحتوى من امال ، - وبينهما كما يقول الفريد دى موسى فى اعترافات فن العصر ، عن ابنة القمص سرفندان بسترازبورغ « اقيانوس الحاضر » . . . او بالاحرى حاضر حياة الكبادى . .

لو طلب منى ان اصفه ، لقلت اذا ، ما بين عصرين . اعنى ، تقلقلا واضطرابا ولكن شخصية الكبادى ، لم تعرف الازمة كما عرفها الشابى او الحداد . . . بل اعتقد ان فطرته الادبية ، العريقة فيه ، والتصقه بنوادى الادباء والشعراء والظرفاء بتونس اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين جعلت منه ، عقلا وروحا واحساسا لايأبه كثيرا بالواقع وان هو يتاثر به .

اديب . . . نعم ، الكبادى ، على خلاف كثير من الزيتونيين الذين قصروا ثقافتهم على الكتب والمؤلفات التى كانت تدرس فى الجامعة الزيتونية فى مطلع القرن العشرين (10)

كان التعليم الزيتونى تعليما فقد الروح ونقصته الديناميكية التى هى عبارة عن الحياة . . . وان كان فى ذلك الجو الجامد المحافظ محافظة فظيعة ، رجال الاصلاح ، مثل الشيخ سالم بوحاجب (11) والشيخ الطاهر بن عاشور (12) والشيخ محمد بلقاضى (13) والشيخ النخلى (14) واخيرا الشيخ محمد الخضر ابن الحسين، الذىاصبح فيما بعد عميدا وشيخا لجامعة الازهر بالقاهرة (15) - فلم ينجح فى خلق روح ادبية حية تمتاز بطابع الحياة والتحرر والتجديد . . .

فى هذا الاطار الضيق وجد الشيخ محمد العربى الكبادى نفسه ، فحاول جهده ان يشرب من ينابيع الادب العربى القديم - شرقيه واندلسيه ومغربيه - حتى ينجو من « فصل من الجحيم » (كما يقول الشاعر الفرنسى ارثور رمبو) وفعلا جمع الشيخ الكبادى - بعد جهاد طويل ، ينابيع الادب العربى وعيونه مثل « **كتاب الاغانى** » لابى الفرج الاصفهانى ، ومثل ديوان **الحماسة ومثل**

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام ، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ٠٠ وكان قد مرن ذاكرته على ان تحتفظ على ما شاء ربك من الاخبار والاشعار والنوادر والملح ، فكانت ثقافته ثقافة الاديب ٠

نعم ، كان في رايي العربي الكبادي يمثل احسن تمثيل الاديب والادب في تونس٠وكان يمثل احسن تمثيل في نظر المستشرقين الذين ترددوا عليه وزاروه ببيته « الاديب » احسن تمثيل الاديب في شكله المثير ٠ فلم تكن كلمة ادب عنده ، هيكلا بلا روح بل كنت ، كلما جلست قربه ، اشعر ان للادب محتوى وللادب وجها هو وجه الشيخ العربي الكبادي ٠

ولقد احس بما احسس مستشرقون كبار مثل ويليام مارسي (المتوفى سنة 1959) وليون برشي (المتوفى) وريجيس بلاشير ، وجاك بارك ونيكل الاميريكي (المتوفى اخيرا) ، وامبرتو ريزيتانو الايطالي الذي ضمتنا ذات يوم ندوة اذاعية حول شيخنا الراحل (16) فان كان الادب لا يثير في ذهن طلبة الجامعات العربية والغربية على السواء ان هم طالعوا آثار عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع ، وسهل بن هارون ، وابي عثمان الجاحظ ، وابن قتيبة ، والمسعودي وأبي حيان التوحيدي وغيرهم ـ وهم كثير ـ الا صورة فكرية ، ذهنية محضا ، فانها ، بفضل وجود الشيخ الكبادي كانت تثير امامي ، مثلا حيا استطيع ان اصفه وصفا واقعيا ملموسا ٠

فالعربي الكبادي بحفظه لالاف وآلاف الاخبار والنوادر وبذكره في جميل المناسبات ، ولطيف المواقف ـ لشواهد الامثال والاشعار ، كان برهانا على ان الادب لم ينقطع عن الحياة ، وعن ان الادب متسرب في الحياة ينهل منها ويعبر عنها ٠

فهو اذن ، يصور في شخصه الادب ـ يلمس ويجس

ظريف بين الظرفاء

ولكن الشيخ الكبادي كان يضيف الى هذه الثقافة الفكرية ـ التي تشرب من الكتب وتنهل من عيون التاليف طبعا ، كله رقة وفن واحساس وتفنن في اللباس والجلسة واختيار لشيق الالفاظ وجميل العبارات ومثير النوادر ، ولذيذ الاخبار ، هذا الطبع الذي لا مناص لك من ان تسميه بالظرف ٠ ٠ ٠

ان هذه المشية المتزنة آونة ، الجسورة آونة اخرى ، وهذه الجبة الحريرية او القطنية التي « خيطها » امهر الصناع ، وهذه « الكنترة » او هذا الحذاء الذي صنعه امهر الحذائين ، وهذه « الكشطة » المطرزة طرزا رقيقا ، وهذه البدعية من ثمين الصوف وهذا القميص من ثمين القماش ٠ ٠ وهذا « المبسم » الذي يدخل فيه الاستاذ الكبادي سيجارته (وهو هدية من هدايا الامير) ، وهذه الزهرة او هذه الوردة التي مسكت بها اصابعه برقة ولطف ، هذا او هذه المظاهر كلها علامة ودالة على ظرف شاعرنا ٠٠٠

نوادى الظرفاء

ويسترسل شيخنا فى « سلوكه » هذا (17) ـ وليس بوحده فيجتمع باصحابه واقرانه وخلانه من الظرفاء ـ من شيوخ الزيتونة او من خريجي الصادقية (18) فى نوادى الادب والظرف، فى داخل بيت من بيوت الارسطقراطية فى قلب « المدينة » زوالا ، او فى بستان من بساتين باردو ، او اريانة ، فى عشايا الربيع او فى مكان منعزل يشرف على البحر بسيدى ابى سعيد صيفا هذه النوادى الظريفة اراها صلة من اوثق الصلات بين حاضر الشاعر الكبادى وبين الماضى ، ذلك الماضى الذى يحن اليه شيخنا ، ويذكره ذكرا واقعيا كاد يكون ملموسا ، وهو يطالع او يعارض بين كتب الادب القديمة . . . ان الكبادى كثيرا ما كان يذكر مجالس الشعراء والادباء والظرفاء والحسان والقيان على ضفاف وادى العقيق ايام عمر بن ابى ربيعة (19) ومجالس الشراب والانس ايام والبة الحباب ومطيع بن اياس وسلم الخاسر وابى نواس (الذى كان شيخنا يحبه ويميل اليه ميلا كبيرا يتجاوز المحبة والميل الفكرى)، ايام العباسيين ومجالس الخمر واللذة ايام الايوبيين مع سناء الملك والبهاء زهير ومجالس الغناء والطرب والمجون فى الاندلس فى كل امارة من امارات ملوك الطوائف ، خاصة فى مملكة اشبيلية ايام بنى عباد ، سيما ايام الملك ـ الشاعر المعتمد بن عباد (20)

تشعر هنا ان الماضى حتى فى حاضر شيخنا ، وانه يصبغ سيرته ومواقفه بلون من الطرافة والواقعية معا ، هذا التفاعل بين الفكر ـ او الادب ـ وبين الحياة الفردية فى المجتمع ، لم يسترع انتباه الناس فلانهم لم يدرسوا الادب وادب الادباء على حقيقته ، بل تراهم فى اغلب الاحيان يجردونه ويبعدون ما بينه وما بين « القاعدة المادية » التى يعيش عليها ومنها . .

ولا شك فى ان الشيخ محمد العربى الكبادى ، يمثل شيئا من « البرجوازية الصغيرة » التى عاش بعض افرادها داخل اطار الزيتونة ـ فى ثورة لا تلجأ الى العنف ، ولكن فى ثورة ساخرة غير آبهة بما يقوله الفقهاء المتزمتون دأبها ان يعيش صاحبها فى لذة ماجنة وفى بحبوحة مستمرة

غلاميات

لا شك ان الادب العربى كثيرا ما لجأ الى التعبير عن الشوق والحب الى المرأة مستعملا المذكر وانك كثيرا ما تجد الشاعر او الكاتب يلجأ الى كلمة « سيدى » وكلمة « مولاى » لذكر الحبيبة . . .

وانت تسمع اميرا مروانيا يقول :

1 ـ ومن لا اسميه مخافة عتبه

على ان قلبى مستهام بحبه

2 ـ وبعض اسمه حاء وباء حروف
اطـوارهـــا . . . .

3 ـ عليه سلام الله منى مرددا
سلام محب جاد فيه بقلبه

وفى نفس الطريقة تجد ابن زيدون يقول فى نونيته الشهيرة :

لسنا نسميك اجلالا وتكرمة
وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا

اذا انفردت وما نستوركم فى صفة
وحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا

ويتبعه ابن الحداد الاندلسى فيقول :

صنت اسم الفى فدأبا لا اسميه
ولا ازال بالغازى اعميه

هذه النزعة نجدها عند العربى الكبادى فلقد حاولت مدة ان اجد ، خلف التغنى بالغلاميات فى قصائده اسماء « المحبوبة » . . . فادركت مدى الاتصال الوثيق بين العربى الكبادى وبين حضارة الاندلس وشعرها (21) فانك كثيرا ما تجد فى شعره التغنى بالغلمان ، ولكن الشيخ يتغنى فى اغلب الاحيان بالمرأة التى يخفيها وراء المذكر . كثيرا ما جلس الكبادى ، فى حفلات « الراشدية » التى بقيت كعبة الفن الاندلسى فى شمال افريقيا يرمق صليحة (حياة) او علية بنظرة الاعجاب والتغزل بمفاتنها ، والتشبع من زى شبابها ومحاسنها ويثور الشعر فى قريحته ، فلا يصفها الا كما يصف الغلام . . . على ان الكبادى كان متبعا لسنة الادباء والطرفاء الذين ذكرناهم ، يميل ايضا الى مغازلة الغلمان والاحداث ومداعبتهم ، وانى لا ارى هذه النزعة شديدة الاتصال بثقافته الاندلسية ، فهو قد سمح لنفسه بهذه النزعة التى يندد بها المجتمع . . . ولكنها نزعة موجودة ـ بكثرة فى الايام الاخيرة من حياته ـ فى شعره . . .

ولقد كان الكبادى ، يثير عند بعض النقاد ـ الذين يخلطون بين الذات والموضوع ، وبين حياة الشاعر الخاصة وبين شعره نقدا لاذعا عن سيرته الشاذة هذه . . . ولكنها سيرة موروثة وسنة متبعة .

مواضيع شعر الكبادى

قلنا ان الكبادى ينتمى الى البرجوازية الصغيرة . . ومعناه ان هذه الطبقة التى اخذت حالتها تتدهور (22) اخذ افرادها يلتجئون الى وسائل تضمن لهم الحياة فلهذا ترى الكبادى ينخرط فى سلك الوظيف ، حتى يضمن لاسرته حياة « متوسطة » . . . ولهذا تراه ، فى كل عيد وكل مناسبة « رسمية » يمدح الامراء والبايات ولهذا تراه ، يلجأ الى الصحافة يكتب فيها ، والى مذياع

تونس ينظم له (23)

فكانت مواضيع الشعر القديمة التى تشبع بها وهو يحفظ للاندلسيين مثل

- شعر الطبيعة
- شعر الغزل الغلماني
- شعر الوصف
- شعر الحكمة

تقوم جنب المواضيع الشعرية التى اجبرته عليها « المناسبات » حتى اننى ارى فيه احيانا (مع محمود بورقيبة « شاعر الشباب » ؟ ؟ ! !) اكبر شاعر للمناسبات (24)

هذه المواضيع ، لا ارى حاجة الى بحثها ، ولا شك فى انالباحثين، سيتصدون لها بالبحث ، على انىاشير الى ان قيمتها «الجمالية» ـ غالبا تقترب منالصفر ـ ولكن قيمتها « الاخبارية » Valeur documentaire ، قد تكون على غـاية من الاهمية وفى هذه النقطة ، تكمن اهمية شعر شيخى محمد الـعربى الكبادى رحمـه الله

(*) كلمة منزلة تعبر هنا ، لا عنمكانة الشيخ الكبادى ، ولكنهى ترجمة لكلمة Condition الفرنسية • ولقد توخيت هنا ترجمـة الاستاذ محمود المسعدى لكتاب انـدرى مالرو : المنزلة البشرية La Condition Humaine (انظر **مجلة المباحث**)

(1) اعددنا رسالة دكتوراه دولة عن هذا المؤلف : انظر بحثنا بمجلة ابلا 1954 Ibn al-Muaâffa et son œuvre

(2) انظر بحثنا

Le Milieu Zitounien de 1920 à 1933 et la formation d'Aboul Kacim Ach-Chabbi

فى كراريس تونسية 1959 عدد 28

(3) يظهر الفصل الاول منها فى عـدد مقبل من **مجلة الفكر** خـاص بالمسرح التونسى •

(4) فيما يعود لكلمة اديب ، انظر بحث الاستاذ نالينو L. A. Nallino : La Littérature arabe des Origines à l'Epoque de la Dynastie Umayyade.

باريس 1950 ، ص 15 ـ 34

وعنالظرفاء بحثنا : Un Groupe Social Les Raffinés

فى مجلـة Studia Islamica 1959 ، ص ص 39 ـ 71

وفيما يعود الى تونس ، فان الظرف خاصية من خاصيات الحيات التونسية (انظر مثلا : **مجلة** Faïza عدد 6 ، 1960 ص 42 وصورتنا • • • بريشة الزبير التركى)

(5) انظر عنه : زين العابدين السنوسى : **الادب التونسى فى القـرن الرابـع**

عشر ، تونس 1928 ــ 1929 ، ص ص 21 ــ 45 وكذلك محمد الشاذلى خزنه دار ، (عدد من **مجلة الندوة**) وكذلك مقالة للسنوسى : مجلة الاذاعة 1959

(6) السنوسى **ادب** ، مرجع مذكور ج 2 ، ص 3

(7) نفس المرجع ، ص 46 ــ 48 وكذلك محمد الحليوى : **من ادبائنا الراحلين : محمد بوشربية** بمناسبة **مرور سبع سنوات على وفاته** ، **بمجلة الفكر** سنة 5 عدد 3 ، ديسمبر 1959 ص 53 ــ 57

(8) سنوسى **ادب** ، مرجع مذكور ص 58

(9) نفس المرجع ص 72 ــ 94

(10) انظر بحثنا عن الشابى ، المشار اليه سابقا ، وخاصة فصل : برامج التعليم ص 442 ــ 455

(11) الذى كان حلقة وصل بين المتفرنجين مثل البشير صفر ، ومحمد لصرم وعبد الجليل الزاوش وخير الله بن مصطفى باعثى جمعية الخلدونية ، وبين العنصر الزيتونى النازع الى التجديد

(12) نؤمل املا كبيرا ان يؤلف الشيخ الطاهر بن عاشور ، كتابا عن دور مدرسة الاصلاح فى تونس فى مطلع القرن العشرين ، خاصة عن الزيتونيين المنضمين الى الخلدونية
والشيخ الطاهر بن عاشور من اتباع الامام محمد عبده ، ومن مهيئى زيارته الى تونس سنة 1905 ، والمشهور بتفسيره وشرحه لمقدمة المرزوقى لديوان الحماسة

(13) اشتهر محمد بلقاضى بمحاضراته ودروسه فى النحو وعلم اللغة حتى سمى « سيبويه »

(14) اصولى من مدرسة الاصلاح

(15) انظر عنه بحثنا **Le Milieu Zitounien** المشار اليه ، ص 452 ــ 453

(16) كانت تضم الاساتذة عثمان الكعاك واحمد خير الدين ، ومحمد المرزوقى واحمد عبد السلام ، والشاعر منور صمادح ، والاستاذ صالح المهدى ...

(17) نعبر بكلمة سلوك عن مفهوم من مفاهيم علم الاجتماع **Comportement**

(18) لقد التقيت ببعضهم فى ندوته ، او فى بيته ، وانى لا اذكر اسماءهم حتى لا احرجهم

(19) انظر بحث صديقنا **Jean Claude Vadet Une personnalité féminine du Hedajz au 1er Siècle /VIIe Sukayna bent Al-Husnsayn ben Ali.**
مجلة اربيكا **Arabica** سنة 1957

(20) نشير الى دراسة صديقنا العراقى الدكتور صلاح الدين خالص : **المعتمد ابن عباد** ، بغداد ، 1958 التى استمدها من رسالة دكتوراه قيمة عن «الحياة الادبية باشبيلية فى القرن الحادى عشر مسيحى » باريس 1956

(21) عن مشاكل الحب بين الرجال والغلمان فى الاندلس : انظر
Henri Peres : La poésie andalouse en arabe classique au XI^e Siècle.

طبعة ثانية ، باريس 1954 ، ص 362 وما بعد

(22) على خلاف حالة البرجوازية الفقيرة الريفية ، التى اخذ نجمها بالعكس ، فى الصعود منذ سنة 1924 ، والتى قدمت لتونس اكبر زعمائها

(23) اغلب قصائده فى المدح الرسمى وقصائده المنظومة للمذياع ، منشورة **بمجلة الثريا ، وجريدة الاسبوع**

(24) لهذا الشعر اهمية كبرى ، فى معرفة احوال الحياة وتاثر النفسية بالاحداث وبالحياة السياسية (انظر دراسة الاستاذ هنرى بيريس عن الاندلس التى عنونها بـ « القيمة المصدرية الاخبارية لشعر الاندلس »

ولقد استمرت هذه النزعة الشعرية فى الشعر التونسى الحالى مع احمد خير الدين وجلال الدين النقاش وغيرهما مع ملاحظة ان «النفس» قد ارتفع ، لان الموصوف (فخامة الرئيس بورقيبة) يحمل شخصية تخالف قيمة وايحاء شخصية البايات الدالة . ولان معركة الاستقلال والحرية تخالف مناسبات الباى والمقيم (باستثناء شخصية المرحوم المنصف باى)

• عبقــر

ذلك هو عنوان المجلة الجديدة التى ظهرت فى تونس وقد اتصلنا بعددها **الاول والثانى** فارتحنا لقيمة محتواها وجمال اخراجها وشعرنا بان لها شخصية متميزة واسلوبا خاصا مما يجعلها تقوم بواجبها على خيروجه وتخدم مع زميلتيها الفكر والتجديد الادب بهذه الديار . « وعبقر » **من الحجم الكبير** صفحاتها 40 يديرها السيد الهادى عبد الغنى ويراس تحريرها الاستاذ عبد المنعم يوسف .

والفكر ترجو لزميلتها الجديدة النجاح وطول العمر .

خــــواطــــر

بقلم : **البشير الزريبي**

عند مـا نعى الى شيخ ادبائنـا غمرني ما قـد يغمر المتتلمذين على يده من احساس اصيل بفداحة الرزء وبجسامة الاصابة والخسران الذين لحقا اوساطنا الادبية ــ وبدالي في موقف الفاجعة ان الفراغ الذى تركه الكبادي وراءه لـم تكن بممكن تعويضه وانه بحق نموذج فريد في شخصيته الادبية نظرا لما انفرد به من شيم وما تميز به من سمات فكرية وقيم جمالية قلما توفرت في اترابه ممن هم على شاكلته من ولوع بالادب وافتتان بجنانه الوارفة . ولعله ليس بمستنكر على ان خامرني في الم الصدمة ما قد عرف به اديبنا الراحل من بداهة حاضرة وحسن مرهف وما قد شاع وذاع من قيمه ومميزاته من ذوق نقدي وحافظة ادبية مازها على مثيلاتها بهذه الديار انها تعج بالمدخرات والنفائس التى تبتز منك او عنك هذا الاعجاب العصى وهذا التقدير الضنين سيما اذا عرضها صاحبها على اصفيائه واشياع نحلته الادبية بروح ملؤها الوجدان الصادق بله الاحساس العميق بطرافة الادب وآياته الخالدة

ولقد حضرني في ما حضرني بهذه المناسبة الاليمة ما قد افادني به الكبادي من توجيه مازلت اعده كنزا لا يفنى ورصيدا لا ينضب وعلى الخصوص ما كنت اتلقاه عنه في محاضراته الشيقة كمدرس لمادة الادب بالمعهد الخلدوني ــ وانه لحق جميـل بنا الاعتراف بـه لذويه ان كان الكبادي على اقتدار وقوة روحية استطاع بها خلق جيل كامل شبعه حماسا واورثه تذوقا للادب وفنونه ــ فقد كنا نتسابق الى ندواته بحى باب منارة ننشده من آخر منظوماتنا ما ننشد وهو على بشاشته ودماثة خلقه يصوب لنا تارة ويستحسن لنا اخرى هكذا يريد بنا بعثا واندفاعا الى آفاق علوية كم يود لها النصير القدير والمتحمس الاسير ــ وان انسى فلا انس اجـواء التنافس الحميد الذى كان يذكيه شيخنا الراحل بتوجيهاتـه وايحاءاته الشاحذة للهمم الادبية كتلك التى تمخضت عن شاعـرية عـدد غير قليل من مشاهير شعراء الساعة امثال الهادى نعمان ومنور صمادح ومن اليهما ممن تشرب على يدى الفقيد حبه للاجواء الشعرية ولدنيا القرض والرؤى

وتذكرت ايضا فى جملة مـا تذكرت كيف كان الكبادى عالقا بذهنى وانا اصخى الى من بندوة كامل الكيلانى من اعلام الادب واللغة حيث كانت تنعقد بالقاهرة دوريـا مساء كل يوم خميس فى ذلـك الطابق العلوى مـن مكتبته التجارية ــ انها ندوة ادبية تقترب مما كان يحييه بديارنا الفقيد الراحل وهذا هو تقديرى لها آنذاك وهو عين مازلت عليه من تقدير اكنه اليها حتى الان على الرغم من وفرة القيم الروحية المشاركة فى ندوات الكيلانى ناهيك باعلام فكرية وادبية امثال: منصور فهمى باشا، عبدالقادر المغربى، مصطفى الشهابى، محمد البشير الابراهيمى محمد الحومانى ، الفضيل الورتلانى ، الخضر بن الحسين ، محمد على ابو كثير وحيد رمضان ، سيد قطب ومـن الى هؤلاء جميعـا من مشاهير اللغة والادب العـربى ــ فهى وان كانت زاخـرة بالاحورة والمذاكرات المجدية حيال دقـاق شؤون الادب ومسائله فهى كما كانت تبدو الى شيقة الوقع غزيرة المادة الا انها مفضولة على التى كان يحييها شيخنا الاديب محمد العربى الكبادى ــ فهذه بدت لى عند المقارنة اكثر ثـراء نظرا لما زانهـا عندى مـن مستحسن الملحظ ومستطاب الفكاهة التى خلعت عليها جاذبية اخاذة واغوتنا بها اغـراء وتعطشا ابديا ــ ثم انها لاجواء انس وآفاق ادب رفيع ملؤها الجمال والروعة بله السمو والعظمة الفكرية وما كان بها قط ما كنت مؤاخذا به تلك الندوات الكيلانية مما لا يجمل بى ذكر كله وان تأتى لى ذكر جله ــ فالذى طبع ندوة الكيلانى رحمه الله يطابع الرياء والكلفة المقيدة هو ما ملأ اجواءها من مصانعة ورياء لا يبلغهما الوصف ــ وانه لتهافت على اخذ الكلمة ورغبة ملحة فى الاستحواذ على المجلس يبلغان ببعض الافراد الى حد الخروج عن اللياقة والوقوف بموقف المنافسة التى هى بغير موضع ــ وانها لآفاق ادبية تغلب فيها الشكلية والمراوغة وتستتر بها كثير من النزعات المغرضة التى لا تليق بمن فرض فيهم التناصر من اجل خدمة الادب ومن اجل اعلاء قيمه السامية ــ ولقد تردد على هذه الندوات معظم الزعماء الوطنيين فى بلادنا ايام اقامتهم بالقاهرة وبلغ حد التبرم ببعضهم ذات مرة الى ان قاطع المجلس ثورة على روح النفاق والمراوغة التى ما رآها تليق ببعض من حواه الجمع من عناصر بدت فى سلوكها الاجتماعى متنكبة عن الادب الرفيع الذى هـو حسب المفروض الرابطة المثلى التى جمعت عناصر تلك النـدوة فى تئاخ اوحد وتسامح امثل

هـذا هو خلاصة ممـا خامر نفسي من احاسيس وذكريات عند تلقى نعي الكبادي والآن هل اراني وارى امثالي على بر بالكبادي عند ما يشيعونه بالعواطف وآيات التقدير وحسب ، لا اظن في مثل هذه المواقف الكفاية ، فهذا ليس هو كل الخير الذي يجمل بنا توديع فقيدنا به ـ فما العواطف والاحاسيس النبيلة الا تعبير منـا ولانفسنا ليس غير ولا ينتفع بها ومنهـا الفقيد كمثـل انفاعـه بـدراسة قيمة لنتاجـه وتـاريخـه فـفي هـذا اجمـل المواقف من الفقيـد والادب عموما ـ واننا لنريدها لا دراسة تردد بها كلمات جوفـاء من امثـال : الموضوعية ، والطرائقية العلمية ، والنقدية التتبعية دونما تكون في الواقع آخذة من مفاهيم هذه المصطلحات اى شيء يذكر بل نطمح اليها دراسة تخلد الكبادي لانه حـرى بالخلود لا بالنظر الى انتاجه القليل بل بالنظر الى الدور الذى اوقف عليه حياته كباعث من بواعث الادب في اوساطنا التونسية

الفكر
مجلة ثقافية
تصدر شهـريـا
مـؤسسهـا ومـديرهـا
محمـد مـزالي
المراسلات ـ صندوق البريد 556 تونس
الحساب الجاري بالبريد 337.69 تونس

ندوة القراء

تعليقا على كلمة المنصف الشنوفي حول بيرم التونسي الصادرة في الفكر عدد 7 اتصلنا من الأديب البشير خريف بالكلمة التالية :

انـــذار وتحـذيــر

ينبه فرد « من شرذمة المتطفلين على الادباء المذبذبين » انه اذا لحقه اذى في دفاتره او اوراقه فالمسؤول على ذلك هو الشاب المنصف الشنوفي ، الحانق جد الحنق لانني سمحت لنفسي بالتعبير بعربية سوقية ضعيفة دون ان يسمح لي . والحقيقة انني لم اكن اعرف مقره ، فاستأذنه.وعليه فلا استحق كل هذا الحنق ولا استحق « سقر » الا في الصيف

البشير خـريف

* * *

ويطيب لاسرة المجلة تلبية لاقتراح مراسلها المنصف الشنوفي ، لذلك ننشر نموذجا من نثر المرحوم بيرم التونسي وطائفة من اشعاره وأزجاله

مـــدافع العيـــد

لا مرحبـا بمحيا العيـد ان طلعت — منـه على النـاس ارزاء واحـزان
ولا تبـارك يـوم فيـه يـزعجنـا — صوت المـدافع والاسلام خزيـان
عيـد كـوجـه طفيلي اتى عـرضا — فـلا يقـابلـه بالبشـر انسـان
شر البشـائـر بشرى لا تـذكرنا — بالعـز الا ودمـع العين هتـان
يا ايها الناس ما ابيضت ملابسكم — في العيـد الا كمـا تبيض اكفان
لا تحسبوا ان يكون الميت مضطجعا — في قبـره رب ميت وهـو يقظان
مشتتـون فـرادى ليس يجمعكـم — ديـن ولا لغـة فصحـى وقـرءان
بكى اليهـود ببـرلين فساعفـهـم — من شعبهم في جميع الارض تحنان
تطور النـاس حتى في جوارحهـم — ومسلم اليوم امسى وهـو قرنـان
يا قوم لا تنحروا الانعام صاغـرة — بـاغين في نحرهـا فالبغي عدوان
رفقـا باغنـامكم ابنـاء جلـدتكم — فالظلم ان يـذبح الخرفـان خرفان

محمـود بيـرم

من نشر الفقيد

يوم من ايام المنفى

بقلم : محمود بيرم

اعتدت ان اتناول فى كل اسبوع شيكا على البنك يرسله مدير الجريدة التى احررها فى القاهرة ولكنه اخذ يرسل الشيك فى كل اسبوعين • ثم تقدم خطوة الى الامام فجعل يرسله كل ثلاثة اسابيع والمبلغ الاسبوعي هو نفسه •

سكنت فى حجرة فى الدور السابع من احد المنازل العتيقة اجرتها ستون فرنكا فى الشهر وفيها كنت احبس نفسى للكتابة لامد الجريدة بالمواد التى تكفيها كل اسبوع •

فى الاسبوع الاول من شهر فيفرى ١٩٢١ اشتد البرد وغطت الثلوج الشوارع وسطوح الديار • ووقفت الاشجار مجردة من الاوراق كالهياكل العظمية وقد تناولت الطعام فى هذا الاسبوع مرتين او ثلاثا • وقبل الليلة التى ادون فيها هذه الكلمات رقدت بلا عشاء • وفى مثل تلك الحال يشعر الانسان ان النوم يغنى عن الطعام بعض الغناء فبقيت فى الفراش مدة طويلة انظر من النافذة الى السماء المكفهرة ولا اعرف ان كان الوقت ضحى او مساء • وكلما سمعت وقع الاقدام على السلم حسبتها خطوات ساعى البريد جاء بالخطاب المسوقر ولكن عند ما سمعت نشيش المقلاة عند جيرانى وصعدت رائحة البفتيك يقلى فى الزبدة علمت انه الظهر • وخيل الى انى لو نزلت الى المدينة لعثرت فى كثير من الاصدقاء الشرقيين الذين يطلبون العلم ويعيشون فى رفاهية • فنزلت • فرايت الشوارع خالية من المارة والمطاعم والمقاهى مقفلة على من فيها • وكم ترى من عابر سبيل يمشى مسرعا كأنه ذاهب الى امر مهم وهو فى الحقيقة مثلى ليس لديه ما يقصده

لمحت طالبا مسلما مقبلا على المادة التى اسير عليها • فلما قاربنى ادار وجهه ليتفرج على واجهة احدى المحلات التجارية ولكنها كانت مقفلة بالباب الحديدى فانتقلت من تلقاء نفسى على المادة الاخرى • وواصلت السير الى ميدان البلدية وكنت انبسط لمنظر هذا الميدان الذى يجتمع فيه عشرات الالوف من الحمام الابيض والازرق وتذهب اليه الامهات والمربيات ومعهن الاطفال الصغار وكميات من الحبوب فياخذ الطفل الذى لا يتجاوز عمره الثالثة كمية من الحبوب فى يده ويعرضها للحمام فترتفع عن الارض طائرة بجناحيها وتلتقطها من كفه

بلا خوف ولكن الميدان فى ذلك الوقت كان خلوا من الاطفال والحمام • وبينما اتاهب للرجوع من شدة البرد قابلت خليطا من الطلبة فيهم المصرى والتركى والتونسى فصافحنى بعضهم فشعرت بالدفء يسير فيجسمى منهذه المصافحة ولم استطع النطق بكلمة غير رد التحية وكفى

فى الساعة الرابعة بعد الظهر اضيئت مصابيح المدينة وان كان فى حساب اهلها انهم فى النهار • وما هى التسلية التى يجدها من يجوع ثلاثة ايام الى ان تحين ساعة النوم ؟ وكانمنظر المرقاز والاجبانوالخبز فىالحوانيت اجمل واشهى من منظر المجوهرات والفراء والمنسوجات الفاخرة • لقد كنت اجد نفسى واقفا امام واجهة الحلوانى اتفرج على الفطائر المنقوشة فى ذهول ثم انتبه واحسب ان الناس ترانى وتعلم حقيقة امرى فانصرف خجلا •

للجوع ثلاثة ادوار :

الاول : يشتهى فيه الجائع كل شىء حتى الحشائش واوراق الشجر •

والثانى : مغص والتواء فى الامعاء •

والثالث : غيبوبة واحلام وهذيان

عدت الى الحجرة فخيل الى ان البرد فيها اقسى منه فى الشارع • واوحى الى الهذيان ان استعمل القاعدة المشهورة الحاجة ام الاختراع • وماذا عسى ان يخترع الانسان ؟ المس بيدى الفراش فاجده طريا فاحسب ان حشوه يصلح للغذاء • هل ابيع البطانية التى املكها ولكن اين المشترى فى تلك الساعة ؟ فتحت كل قجر • وقلبت كل وسادة لعلى اجد تحتها قطعة من الخبز او ما يشبه الخبز •

وقلبت الكنبة بحركة عنيفة كالمجنونفلاحت لى بصلة تلمع قشرتها الذهبية تحت النور • والبصل لذيذ اذا شوى فى النار•

ولكن لا املك الوقود ولا الثقاب ولسنا فى مدينة شرقية حتى نجد بسهولة الاوراق والاخشاب ملقاة فى المزابل او نجد من نستوقفه ونطلب منه عودا من الثقاب على سبيل المروءة • • •

اعددت الوقود للبصلة من المواد الاتية : قاموس عربى وفرنسى ــ ديوان ابى العتاهية ــ عدة خطابات من الاصدقاء والعائلة •

وحسبت ان صاحب المنزل لا يبخل على بالثقاب فقرعت بابه وكانت الساعة التاسعة مساء فخرج كالمنزعج • ولما طلبت منه عودا من الثقاب اطرق لحظة

ودخل ثم عاد ومعه عود واحد من النوع المليس بالفوسفور الذى يوقد بالحك على اى جسم صلب • ولكنه ابى ان يشتعل على جانب الموقد الحديدى وانا احكه برفق وكياسة وكان راسه فى كل حكة يطير جزءا بعد جزء فقرعت باب الرجل مرة اخرى • فلما رآنى اطلب عودا آخر لوى وجهه واغلق الباب بعنف : وكان احد الجيران فى تلك اللحظة صاعدا على السلمينظر الى ما يجرى فقدم لى علبته بحالها •

ارتكزت البصلة العزيزة بين قصائد ابى العتاهية وخطابات سيد درويش وعباس العقاد • وصعد اللهيب من الكانون يدفىء الحجرة وينيرها الى ان احترقت جميع الاوراق • وبحثت عن البصلة فوجدتها قد سقطت من بدء اشتعال النار فى اسفل الموقد ولم ينضج منها غير ثوبها الخارجى

ولكن الدفء وحده فى بلد مثل ليون يعد لقمة كبرى لاسيما مع النوم

(عن الصباح الغراء)

• • •

• غــزو الفضــاء

قالت الجرائد السيارة فى تونس والعالم اجمع كل شىء — او كادت — عن « غاغارين » الشاب الروسى الذى افلت من جاذبية الارض فى مركبة فضائية وغزا الفضاء •

ونحن اذ نهنيه ونهنى العلماء السفيات بهذا النجاح الباهر فى ميدان العلم انما نهنى جميع العلماء حيثما كانوا بما بلغوه من شأو وانتهوا اليه من نتائج ولاشك ان الفوز الاخير من شأنه ان يعزز ثقة الانسان فى نفسه وفى العقل الذى لا حدود لسلطانه ولا حاجب لنوره

ان غزو الفضاء وما سينتج عنه من اكتشافات سيقنقل « حقائق وبديهيات » كثيرة مما يفسح المجال لتأملات للمفكرين والفلاسفة ويعدل نظرتهم الى الكون

فما عسى ان يكون تأثير غزو الفضاء على ادبائنا والشعراء منهم خاصة ؟؟

مـــولد محمـــد

اليوم الا سعد مولده
مصباح الدهر وسيده

البدر الباهر مطلعه
والبحر السائغ مورده

شهد الانجيل بمبعثه
وعن التوراة يردده

واختال الدهر به عجبا
وحلا للعالم سرمده

وتالق سمط نبوته
ويتيم السمط محمده

وقضى امر الرحمان بان
لا يرفع الا مسجده

فدعا فى الناس يوحده
صوب الديان توحده

العقل اساس شريعته
والحق الا بلج مقصده

والحرب يسعر غمرتها
ووطيس الغمرة يشهده

والعيش تخير اخشنه
فى حين تمثل ارغده

وبه الموءودة قد رحمت
وحبت تتعهدها يده

ويرى المسكين فيكرمه
ويرى الجيران فيرشده

حتى خضع الثقلان له
واتى اشقاه واسعده

وحباه الله رعايته
وبروح القدس يؤيده

وانحط الكفر وطغمته
وعلا الايمان وفرقده

لبيك رسول الله لقد
لباك الصخر وجلمده

وصرفت العرب عن الاوثا
ن وعما كانت تقصده

ولكم طولبت بمعجزة
فاتاك الحق وابنده

بكتاب الله ترتله
وبشرع الله توطده

فمضى الكهان بسجعهم
وعكاظ افحم منشده

والناس من الجهل انتبهت
ومضت للخالق تعبده

فاهتز العرش وقد سجدت
لاله العرش تمجده

محمود بيرم

في رثاء ابى القاسم الشابى

اری غابة طيرها صادح يرد على جوء ذر باغم
اری شفقا زنده قادح على شجر اخضر قاتم
اری جدولا حوته سابح يحاذر من طيره العائم
وهذى الربى بالزهور اكتست ولست هنا يا ابا القاسم!
اناديك من محفل بينه وبينك شامخة من تراب
بكوك بدمع يريقونه غزيرا نهار المنايا الصعاب
يموت للفتى ويحبونه اذا ما غدا مستحيل الاياب
ليبكوا ولكن بسيل الدماء وان اعوزتهم فهذا دمى
لعلك كنت تطيل المقام كباقى الكهول واهل المشيب
او انك لما اجدت الكلام وجدت السميع هنا والمجيب
او انك لما عراك السقام تعزيت فيه بنجوى حبيب
ولكن ظهرت هلالا وغبت كانك لم تك فى العالم
تجرعتها اكؤسا داهقات من الصاب فى بسمات الصغر
وسرت على ارجل داميات سواء لديها الحصى والوبر
وكافات عن هذه النائبات بشعر يحن حنين الوتر
فلم ندر من انت حتى مررت مرور النسيم على النائم
حياتك كانت بقاء لنا وبالموت انت ورثت البقاء
يرفرف روحك من فوقنا ومثلك ان مات قبل ارتقى
وان انت بالشخص فارقتنا الى حفرة فالى الملتقى
وبورك فى عمرك المنقضى وبورك فى عمرك القادم

محمود بيرم

شاعر المقهى

يجد المدينة فى الصباح ... ويا لها من باهرة
فى روعة الحصن المدجج ... والفتاة الطاهرة

الفجر اقبل رافقا ... والليل مناض هاربا
والطير فى عليائها ... من عاصم تتجاوب

ويرى شوارعها الفساح ... نظيفة كالمسجد
سكبت عليها الشمس ذوبا ... من شعاع العسجد

هات الفناجين الصغيرة ... يا غلام منضدة
يا ليت ساعات الشروق ... على الزمان مخلدة

هى ساعة عن مثلها ... غفل الكسالى النوم
لا يستفيق لها من الا ... حياء الا المرغم

يرنو لساقى خادم ... يشتاقها ما تحمل
فيعكر الحلم الجميل ... شيخ يسعل

وبدت تلامذة المدارس ... بوركوا من معشر
من عاثر بحذائه ... ومشيح بالبربرى

يلتفتون محملقين ... اليه كيف يدخن
يا قوم هل مستحسن ... مرآه ام مستهجن

امشوا ذهابا او ايابا ... ها هنا هو قاعد
يحصى وينظم ما يحس ... فؤاده ويشاهد

ولقد تقلصت الظلال ... وشب قيظ التاسعة
يا ويح ما يلقى خراش ... من الظباء الراتعة

ويرى خراش الغيد من ... كرسيه مستفسرا
ما ابدع الرحمان من ... اجسامهن وصورا

من كل غانية كما ... شاء الهوى تتبرج
للقادرين على الهوى ... وهو الذى ......؟

(يتفرج)

محمود بيرم

انـــــا

انا مـن اذ فسق العبـاد جميعهم — انا مـن يعربد مـا يشاء ويفتـك
واذا دعـوا وتهجـدوا وتعـبـدوا — اقبلت وحـدى للعبـادة انسـك
ويسيل دمعى كلمـا ضحك الورى — فاذا الورى انتحبت فانى اضحك
ويلـذ لى يـوم المصائب نـومـة — ليـلا يبيت سريـرهـا يتحـرك
اجـد اذا النـاس اطمـان مهادها — فاذا بـدا جـد الامـور افـذلـك
وتـروننى ان اعـولت جيـراننـا — جنبـى بجنب حليتـى يتحكحـك
ومـع السـرور واهلــه متجهـم — ومـع الوقـار واهلـه متهـتـك
طبعـى ولا ارضى سواه غـريـزة — هـو من يخط لى الطريق واسلـك
لا ارهب الاجـلاف او شركاءهم — مـا دمت قط بخـالقـى لا اشرك
خاب الذين اذا استحوا من جهلهم — سلكوا الضلال وبالهـراء تمسكوا
من ذا الـذى والنـار تلفح غيـره — لم يمس وهو (ممرقز ومشكشك)
يتـوسط الـوركين طيلـة ليلـه — والحـول قـد يمضـى ولا يتـورك
فسلوا النساء عن الرجال يجبنكم — ان الشتـائـم فى المعامـع تحبك
فـدعوا الانـام لجدهم ومـزاحهم — والله يحفظ مـن يشـاء ويهلـك

محمـود بيـرم

عريضة لادارة المال

ادارة المال قـد غبرت هنشيـرى   والحرث طـولا وعرضا بالتراكتور
وجئت بالبذر من فول ومن عدس   لا سلفـة بـل شراء بالفـواتيـر
ولـم ادع عود زيتـون بحـالتـه   كلا ولا عـود توت غيـر مزبـور
خمسون شخصا جلبناهم بنسوتهم   بالاجـر جـاءوا لتطهير وتبخيـر
وقلت للسحب صبى وامطرى كرما   لكنهـا لـم تجـد الا بتقتيـر
اضحى الحشيش لنار الشمس تاكله   والحب رزقـا حـلالا للعصافيـر
لم يبق فى الارض من عود لماشية   تسعـى اليـه ولا بعـر لخنـزيـر
وحطت الطير فـوق الغصن واجمة   لمـا تجـرد مـن وشى الازاهيـر
وجـاء فى مـوكب يسعى خليفتكم   ليقبض المـال من عبـد ومامـور
قلت المنـاجل لم تظفـر بسنبلـة   حتى لقد صدئت فى مخزن الكور
فقـال اخفيتـم المحصول اجمعـه   والقمـح هـربتمـوه بالقنـاطيـر
قلت ادخل الدار وانزل فى دواميسها   وما تـراه فخـذه غيـر مـا زور
فقـال آخـذ من حـر المصاغ على   ما عندكم من صحون او طناجيـر
فقلت هـذى عليها عقلـة سبقت   الى مـراب عظيـم البطـن بنكيـر
فقال لى باحتقار ، رافعا يـده مهد   دا (انت يـا فـلاح دستـورى)

محمود بيرم

المجلس البلدي

قد اوقع القلب فى الاشجان والكمد هوى حبيب يسمى المجلس البلدى
ما شرد النوم عن جفنى القريح سوى طيف الخيال ، خيال المجلس البلدى
اذا الرغيف اتى فالنصف آكله والنصف اجعله للمجلس البلدى
ولم اذق طعم قدر كنت طابخها الا اذا ذاق قبلى المجلس البلدى
وما كسوت عيالى فى الشتاء ولا فى الصيف الا كسوت المجلس البلدى
كان امى برد الله تربتها اوصت وقالت اخوك المجلس البلدى
اخشى الزواج اذا يوم الزفاف اتي يبغى العروس صديقى المجلس البلدى
وربما وهب الرحمن لى ولدا فى بطنها يدعيه المجلس البلدى
اذا اقمت صلاتي قلت مفتتحا الله اكبر باسم المجلس البلدى
استغفر الله حتى فى الصلاة غدت عبادتى نصفها للمجلس البلدى
امشى واكتم انفاسى مخافة ان يعدها عامل للمجلس البلدى
وان جلست فجيبى لست اتركه خوف اللصوص وخوف ۰۰۰
له من الجند اجلاف يفرقهم ليجحفوا الناس باسم المجلس البلدى
من كل جلف قفاه نصف جثته لم غاب عن مثل هذا المجلس البلدى
يا بائع الفجل بالمليم واحدة كم للعيال وكم للمجلس البلدى
الارض والناس والانعام اجمعها الكل ليست لغير المجلس البلدى
حتى مقام موتانا اذا نبتت فليس الا بفاس المجلس البلدى
اكاد حين ارى نعشا اقول حوى ضحية من ضحايا المجلس البلدى
اقسمت لا ادخل الجنات عن ثقة فى الحشران قيل فيها مجلس بلدى

محمود بيرم

احب

احب المرأة العورا واعشق طول منخرها
لالقى الله ما جورا على تقبيل ما كرها

◆ ◆ ◆

وتعجبنى التى تعرج او تمشى بعكاز
لا تدب دولة للحسن طاحت بعد اعزاز

◆ ◆ ◆

وذات البدن الشاحب تحت المئزر البالى
وددت بانها والله فى بيتى وفى ءالى

◆ ◆ ◆

وانت الا تحبين من الذكران فخاما
دميما ، ارفد العينين او ينطلق تمتاما

◆ ◆ ◆

وهل يعجبك (الفاعل) اى كريمة كنت
بطلعة وجهه المغبر من جير واسمنت

◆ ◆ ◆

بلى والله تهوين ولكن تقبح النجوى
لا ناقد تواطانا على كتمان ما نهوى

محمود بيرم

زجل العيـــــــون

من العيون ياسلام سلم ـ شوف واتعلم ـ تحت البراقع تتكلم ـ والدنيا نهار

عيون تقول لك انا عارفاك ـ والنبى ما انساك ـ من يـوم مـا شفتـك م الشباك ـ يا جدع يا صغار

وعيون تقول لك قصدك ايه ؟ ـ بتبحلق ليه ؟ مالكش شغـل تعس عليه يا راجل يا حمار

وعيون تقول لك انا حبيت ـ يا للابنا البيت ـ وعيون تقول انشاء الله ماجيت ـ انا رايحة الزار

وعيون تقول لك بالمحسوس ـ انا عـايزه فلوس ـ وانشا الله حتى تحوس وتدوس ـ انا عاملاه كار

وعيون تقول لك روح يا رذيل ـ يا بودم ثقيل ـ طاعون يلملم فى المخاليل ـ يا ماهم كتار

وعيون تقول لك امشى يا واد ـ انا ام اولاد ـ وعيون تقول لك عندى ميعاد ـ ويا السمار

وعيون بسر الحب تبـوح ـ كـده بالمفتـوح ـ وتعرف القلب المجـروح ـ ما عليهش ستار

وعيون ما تعرف فرحانه ـ او زعلانه ـ صباح مسا اهى سهتانه ـ صاحبة افكار

وعيون تحقق فيها بشوق ـ تهرب على فوق ـ بتقول لك ابعد عنى بذوق ـ نظراتك نار

وعيون تسيل فوق الخد ـ دى جد فى جد ـ وعمرها ما تكلم حد ـ عيون احرار

وعيون كلامها يحط ويشيل ـ وتميل لك ميل ـ تقول لك استنظر لليل ـ وتعالى الدار

وعيون تطل وتتلقلق ـ واقفة شلقلق ـ وعيون تبرق وتبحلق ـ عايزين مسمار

محمـود بيـرم

« رد على رد »

بقلم : **محمد الشعبوني**

بعد قراءة العدد الاخير (من مجلة الفكر) وتتبع رد الاخ لندة اريد ان اشكر للاخ لندة تفضله بتقديم تشكراته لى ، والاعلان عن اعترافه بجميلى نحوه ، واقول له ، ان هذا لا صلة له برده على نقدى لسوء تصرفه ، وكان عليه ان يعتصم بالصمت بدل ان يبرر سلوكه بمغالطته للقراء ، الامر الذى دفعنى — وانا مكره — للحديث مرة اخرى عن (حريته) او للرد على (رده) حيث انى لم ار فى رده مقنعا بل لم يزدنى الا ايمانا بعد ايمان بانه تورط فى صنيعه ، ولم يجد مبررا يقدمه بين يدى نجواه الا ان يقول : (ان الخواطر قد تتوارد) وان ما يحس به شاعر يمكن ان يحس به الآخر ، وان القوافى ليست وقفا لاحد من الشعراء ، وهذا امر يعرفه كل انسان ، ولا يحتاج الى بيان ، غيّر ان ما ارتكبه الاخ لندة ليس من باب توارد الخواطر ، ووقع الحافر على الحافر كما يقولون ، ولا من باب اتفاق الشعراء فى القوافى ، وانما هو من باب آخر ، كان على الاخ لندة ان يذكره لنا حينما ذكر باب (الاقتباس) وباب (المعارضة) ...

وهل يظن الاخ لندة انه بتواضعه الجم ، واعترافه بجميلى نحوه سيحملنى على الصمت عن الرد على رده ؟ خصوصا وهو يدعى ان (حريته) نظمها منذ امد بعيد وكانه يريد بذلك ان قصيدى (انه حى) مسلوخ — واشوهتاه — من قطعته (الحرية) ؟ لان الامر لا يخرج عن اعتبارين : اما ان يكون الاخ لندة قد سلخ قصيدتى وصبها فى (حريته) صبا بمعناها والفاظها ، واما ان اكون انا الذى قد اعتديت على (حريته) واخذت معانيها والفاظها ونشرتها باسمى ؟

وهنا يمكن بدورى ان ادفع هذا الاتهام : 1) بان قصيدى القى قبل نشره بمدة بنادى شعبة المدينة بصفاقس ثم ادرجته مجلة الفكر بعددها 9 الصادر فى جوان 1959 من سنتها الرابعة واطلع عليه جميع القراء ، بينما (حرية) الاخ لندة لم تظهر للنشر الا فى عدد 3 — السنة السادسة من مجلة الفكر الصادر فى شهر ديسمبر 1960 اى بعد عامين من نشرى لقصيدتى ؟ ولو كنت سلخت قصيدى من (حرية الزميل) التى ولدت بعد قصيدى بعامين لانقلب وضع التاريخ ، ولاقام الزميل الدنيا واقعدها ؟ ولقننا درسا فى البلاغة والادب والنقد ؟

2) ان الزميل لم يوضح لنا تاريخ الشروع فى نظم قصيدته .. لكنه قد

اثبت انه نقحها ... وبحكم وجود ابياتي فى قصيدته وتكـاد تكون بفصها ونصها - يمكن ان نقول انـه نقح قصيدتـه بابيـاتي بعـد ما فاتـه ذلـك عند (وضعها)

وهنا تبدو المغالطة واضحة لان الزميل لما تفطن لقوله انه نظم (حـريته) قبل اطلاعه على قصيدى ، خشى ان يحاجه محاج بوجود ابياتى فى قصيدته فعمد الى القول بانه حين اراد نشرها حورها ونقحها ، ولم يتشجـع ان يقول انه اخذ من قصيدى ما سمحت له به نفسه الكريمة ؟

فاعتراف الزميل بتنقيحه (لحريته) يجعله مدانا لان هذا التخلص فى زعمه ، اعتراف صريح منه بسطوه عند تشذيبه على غالب ابيـات قصيدى ومسخهـا مسخاغيرمشرفكما لاحظ ذلك القارىء ؟ والتنقيح ليسمعناه الا تهذيب بعض ابيات وحذف البعض الآخر وزيادة ما يكتمل به النقص ، ويتقوى به المعنى ، لا يجعل منالقصيدة المنقحة (قطعة) من قصيد جـديد تستمد معانيه بالفاظهـا من انتاج الغير ؟

واقول للاخ لندة انه اذا حاول بمقاله ان يعتذر او يبرر سوء صنعه بكونه فى طور البداية ، وفى حاجة لتنمية رصيده الفكرى ، فليس من اللياقة ان يخلط ، ويوهم القراء بان وليدته المباركة من باب توارد الخواطر (المنقح بعضها) او من باب الاقتباس المحمود او بان قصيدته (وهذه منه مغالطة) نظمت منذ زمان ، ونقحها عند ارادة نشرها ، قلت ان حاول الاخ لندة ان يدافع عن نفسه بهذه الطريقة فانا اقول له : (لست انكر على الناشىء ان يبتدىء حياته الادبية بهضم انتاج الغير واجتراره ،ثم اخراجه مطبوعابطابعه،مضفيا عليه شيئامنروحه واسلوبه ، لكنى اقول واكرر بان صنيع لندة ليس من هذا الباب اذ هناك فرق كبير بين ان يكون الشخص نفسه بمطالعاته ، وبين سطوه على انتاج غيره مع مسحه بطلاء شفاف لا يلبث ان يزول ؟

وما قول الاخ لندة فى قصيده الذى نظمه فى ذكرى الشهيد حشاد ؟

ما قوله فى تلك القصيدة التى انتزع بعض صورها والفاظها وقوافيها من قصيد استاذنا الحليوى الذى القاه بمدينة القيروان فى استقبال شيخ الجامع ونشرته مجلة الزيتونة فى عدد خاص لهذه الزيارة ؟

وطالع هذا القصيد :

شعـرى دعـوتـك دعـــوة الالحـــاح
فهنـــا مجـــال القـــول والافصـــاح

فهل سيدعى الاخ لندة بانه وضع مرثيته قبل قصيد الاستاذ الحليوى ؟ وهنا يظهر الارهاص ؟ لان عمر الاخ لندة وقتئذ لا يفوت الخمس سنوات ؟

وفى امكان مجلة (الفكر) ان تراجع القصيد الذى وجهه لهـا الاخ لنـدة

ـ على طريقي ـ وتراجع قصيد الاستاذ الحليوى لترى كيف ان هذا السطو الذى خشينا ان يستمر عليه شاعرنا ـ ربما سيصبح عادة عنده ؟

فليعفنى الاخ لندة من التمادي فى القول ، وليات البيوت من ابوابها وليعمل ـ ان كان يريد حقا ان ينتج ـ بما تقتضيه قواعد التكوين الصحيح ، اما ان يظهر نفسه بمظهر المتفهم لقواعد الادب ، والنقد واسرار البلاغة فهذا ما لا يقره عليه احد خصوصا وهو يعمل ضد ما يقول وبقيت كلمة اخيرة حول رده هو انه كان من حقه ان لا يقحم فيه الرد على اشخاص آخرين تناولوه فى صفحات ادبية اخرى ، مما ليست له علاقة بموضوعى انا ـ حتى لا يفهم قارىء رده بانى انا المعنى بالفقرات الاخيرة من كتابته ؟

واخيرا اقول للأخ لندة ان فى وسعك ان تسمو ولانتاجك ان ينمو ، ولكن لا على حساب غيرك ، وان علاقاتنا التى تحدثت عنها ستبقى بعد هذا كما كانت من قبله او اقوى ، والسلام على الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه